
قافلة الزيت
جمادى الاولى ١٣٨٨ يوليه ـ أغسطس ١٩٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

قافلة الزيت

العدد الخامس — المجلد السادس عشر

تصدر شهرياً عن :
شركة الزيت العربية الأمريكية
لموظفي الشركة - توزع مجاناً

رئيس التحرير والمدير المسؤول — منصور مدني
المحرر المساعد — عوني أبو كشك

العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩
الظهران ، المملكة العربية السعودية

صورة الغلاف

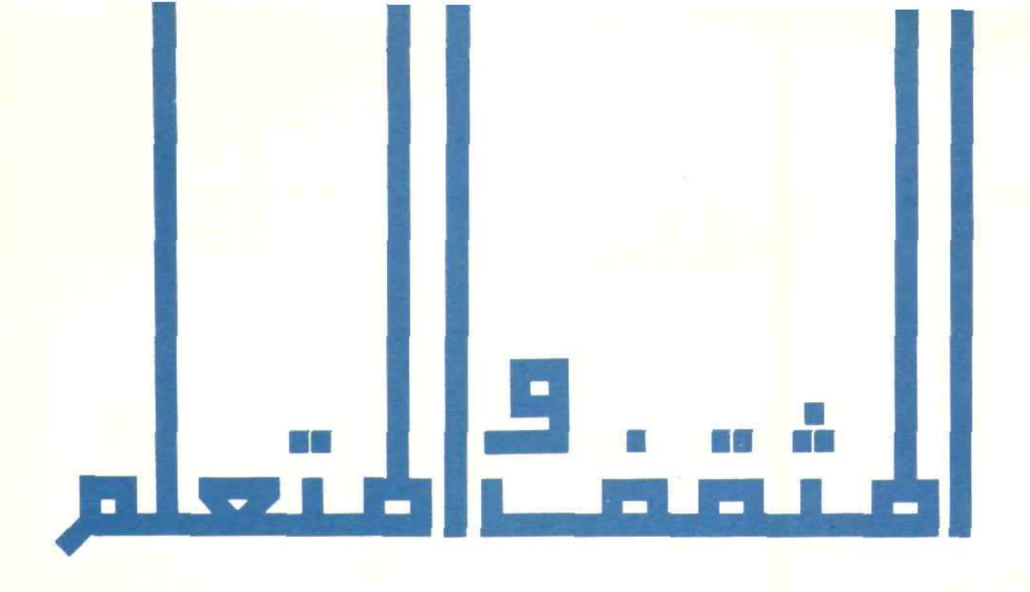
أحد الشوارع الرئيسية في مدينة الرياض .
تصوير : خليل أبو النصر



تصميم وطباعة مطابع المطوع - الدمام - هاتف ٤٣٣١ - ص. ب ٣٤٣
Designed and Printed by Al-Mutawa Press, Dammam Tel. 4331 - P. O. Box 343

محتويات العدد

الصفحة



في مجلس سمر تطرق بنا الحديث الى الثقافة بمفهومها العام والتعليم الأكاديمي ، وأيهما أجدى للفرد وللأمة، وتفرع الحديث واختلفت الآراء وتضاربت ..

وطفقت أبحث في الموسوعات والمعاجم وفي ما اصطلح عليه الباحثون عن تعريف محدد لكلمة « المثقف » ، والفرق بينها وبين كلمة «المتعلم» ، فخرجت بأن المثقف هو من دمثت أخلاقه وسلم ذوقه وتوسعت مداركه ومفاهيمه ، فوعى من ضروب المعرفة ما يجعله أهلا لتفهم ما يجري حوله وفي العالم من أمور ، وليس بالضرورة أن يكون قد تلقى علومه ومعارفه في مدرسة أكاديمية أو معهد منهجي أو يستطيع أن يقرأ ويكتب لغة معينة ، بخلاف المتعلم الذي يكون قد وعى أكثر ما يمكنه وعيه عن واحد من ضروب المعرفة ، وهو لا يكون بالضرورة مثقفا ، كما لا يمكن للمثقف أن يكون عالما الا اذا كان متعلما . أما مناهل الثقافة فهي كل ما يقرأ ويمارس ويرى ويسمع ، فيفهم ويوعى .

وقادني ذلك الى البحث عن أثر هذا التعريف في ما مضى من العصور ، وفي عصرنا الحاضر أيضا . ففي العصور الماضية ، وخاصة عصر النهضة الاسلامية ، كان يتحتم على الدارس أن يتفقه في مواضيع مختلفة في آن واحد ، كالدين والطب ، والفلسفة ، والفلك ، واللغات ، والسياسة ، وعلم الكلام ، فهؤلاء ينطبق عليهم تعريف كلمة « مثقفون » . وقد يؤدي التفقه الى الحذق والتبحر في واحد أو أكثر من المواضيع أو فيها جميعا ، وهؤلاء « متعلمون » و « مثقفون » في الوقت ذاته ، وهم كثر . فالتاريخ العربي ثرّ باسماء من برعوا في مواضيع عديدة الى درجة أن كان يرجع اليهم فيها .

ثم تغيرت مناهج التدريس وتوسعت أبواب العلوم وتنوعت ، بحيث لم يعد في وسع الفرد أن يلم بعلوم عديدة ، كما كان الشأن سابقا أو حتى بعلم واحد ، فبدأ مجال التخصص في فرع من العلم ، وأصبحت الجامعات والمدارس اليوم تخرج لنا فئات من الناس يتخصص كل منها في أحد فروع العلم المتعددة دون المام واسع بما يتعلق بغير ذلك الفرع ، وأولاء هم « المتعلمون » .. فالطبيب – مثلا – لم يعد في وسعه معالجة الجسم البشري عامة . فالأطفال لهم طبيبهم ، وهو غير طبيب النساء . وطبيب الأنف هو غير طبيب العين .. لا يتعدى أي منهم مجال اختصاصه . وربما قد يأتي اليوم الذي يتخصص فيه الطبيب في الأذن الداخلية دون الخارجية ، أو في القرنية دون بقية أجزاء العين .. ولا مأخذ على هذا .

ثم تساءلت : أيهما أجدى للأمة وأكثر نفعا لها ، المثقف أم المتعلم ؟

وقد عثرت على الاجابة عن هذا التساؤل من وحي منجزات عصرنا الحاضر . فعلى أكتاف المتعلمين ممن تخصصوا في فروع العلم بنيت أمجاد الأمم الراقية ، وتمت الاكتشافات الحديثة في مختلف الحقول بالسرعة التي تمت بها ، وبهم يكمل بناء الحضارة الحديثة ، وكلما ازداد عددهم كثرة ، ازدادت أمتهم رقيا في مدارج المدنية والحضارة .. وتلك نتيجة شبه حتمية ، فالتخصص أصبح من متطلبات هذا العصر ، والدقة فيه قد تصبح من متطلبات العصور المقبلة .

اذن ، فالمتعلم ترجح كفته على المثقف في عصر كعصرنا وأمة كأمتنا العربية .

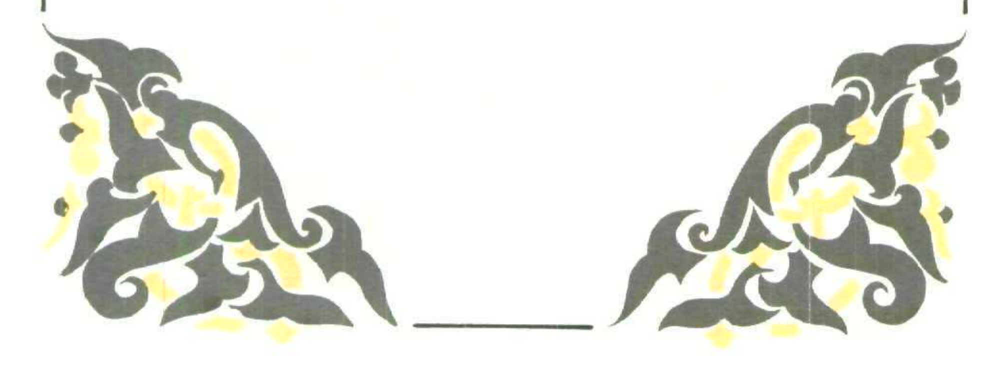
بيد أن التفرغ لفرع من فروع العلم دون غيره لا يخلو من مآخذ ، اذ انه يقرب الانسان الى الآلية المجردة ، ويبعده عن تراث مجتمعه . لذا نرى كثيرا من المجتمعات المتحضرة تشجع علماءها على تناول قسط من الثقافة ، وترتأي بعض المعاهد العليا والجامعات في مجتمعات مماثلة ادخال فنون من المعرفة والثقافة بقدر على مناهجها التخصصية البحتة .

رئيس التحرير

مشاهد من تاريخ مكة

مَظَاهِرُ المَدَنيّةِ عِنْدَ قُرَيْشٍ

بقلم الاستاذ احمد السباعي



وي .. كأنك لم تقنع بعد بما قدمت لك ؟

سأعذرك يا صديقي ، ما دام المفهوم العام يدرج سائر القبائل في بادية العرب مدرجا واحدا ، ولا يعرف كيف يستثني قوما « كقريش » احتكوا بالحضارات شمالها وجنوبها ، وعاشوا في مركز يجمع تجار الشمال الى تجار الجنوب ، وتزدحم أسواقها بالصادر والوارد من كل لون وجنس . كانوا يختلطون بهم ويفسحون لهم في بيوتهم ، وتدعوهم الأعمال الواسعة الى الحركة ، فيرتحلون من بلد الى آخر ، فتتفتح عيونهم على الكثير من مظاهر المدنية في أحدث طراز كانت تعيشه مدنيات أجيالهم .

حسبك دليلا يا صديقي على ما قدمت أن « القرآن الكريم » خاطبهم بمعان ، لا يمكن أن يخاطبهم بها وهم لا يفهمونها أو كانت مدلولاتها غريبة عنها ، فحدثهم عن المشكاة والمصباح . كما حدثهم عن المساكن يعرج اليها بالمعارج ، وتهيأ بالنمارق والزرابي والسرر والفرش المترف المبطن بالاستبرق والسندس .. كما حدثهم عن أنواع الأواني من الفضة والذهب والقوارير والزجاج ، كأنه الكوكب الدري .. كما حدثهم عن الكؤوس ناصعة البياض في شكلها اللذيذ للشاربين .. كما حدثهم عن الحلي من الزبرجد والياقوت والمرجان واللؤلؤ .. كما حدثهم عن القراطيس والكتب والسجلات والأقلام والمداد والصحف .

وهي بالطبع ليست صحفنا التي تنشر الأخبار يوميا أو أسبوعيا ، فمدنيات تلك الأجيال كانت لا تعرف هذا النوع الشائع اليوم ، وانما هو اطلاق البعض على الكل ، فالصحف المنشرة والصحف المطوية أعم بكثير مما نطلقه اليوم .

يصح أن نقول أن لمدنيات تلك الأجيال ما يؤدي معنى صحفنا اليوم ، ويتمثل ذلك الى حد في شعرائها وخطبائها ورجال القصص فيها ، وكان للعرب — جميع العرب — نصيبهم من هذا المعنى كما كان لقريش حظها الأوفى .. فشعراؤها كانوا يرتادون كل سوق وقصاصو أخبارها يقتحمون كل مجمع .

وعرفت قريش في أسواقها ما لا يعرفه العربي البادي من المكاييل والموازين ، كما عرفت مفردات أثقالها ، وحذقت ألوانا من التلاعب بهذه المقاييس ، فكانت تضلل البادي وتخدعه وتتلاعب به ، كما يتلاعب المتحضر بسذج القوم البادين . وأنت تسمع فيما تقرأ اليوم من آيات « المصحف الشريف » ما توعدهم به القرآن : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » . ولا يستوفي اذا اكتال ويطفف اذا كال الا واسع الحيلة من شياطين الحضارة .

واستعمل القرشيون في مكة الثياب والسراويل والقمصان . وتغالوا في أثمانها كما تغالوا في وشيها وتطريزها . وأحسبك لم تنس ما حدثتك به قبل اليوم عن القرشي الذي كان يلبس الثوب بخمسين دينارا ، وعن عبدالمطلب الذي دفن يوم دفن في حلتين قومتا بألف مثقال من الذهب .. لا أحسبك تستنكر هذا أو تنكره . وقد جاء في القرآن ذكر «أوَمَنْ ينشأ في الحلْية ، وهو في الخصام غير مبين . »

واستعملت القرشيات الخُمُر والجلاليب . وتختمن بالخواتم مرصعة بحبات اللؤلؤ وفصوص الياقوت ، كما استعملن الخلاخل ، وكن يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتحلين بالعقود والأساور ، وتطيبن بكل ذي أريج فواح ، ومشّين في زهو وخيلاء .

وعندما مد لهن أصحاب القيم في المجال الداعر ، وفرضوا عليهن أن لا يطوفوا في ثياب أذنبوا فيها ، وجدن فرصتهن واسعة ليطفن عاريات ، وانتهى انحلال الحضارة وتفسخها باحداهن أن لا تكتفي بعريها في المطاف ، بل فعلنه في فجور وقح .

ويكاد هذا اللون من التبذل أن يكون وسم جل الحضارات في جل العصور فقل أن ترى حضارة ترعرعت في غير ظل الانحلال والحرية المتفسخة .

وبعد ، فهل يلذ لك أن أطوف واياك على بعض سكك مكة وشعابها لنشهد بعض ملامح الحرية الفكرية التي كانوا يتطرفون في مزاولتها في صور لا يحدها عقل ولا يقيمها ميزان ؟!

لتتبعني اذن .. أترى هذه العلية المشرفة على مداخل الشعب ؟.. انها علية احدى بنات الهوى . واذا شاقك من باب العلم بالشيء أن تدلج بي في هذه المدالج الملتوية ، فسوف تطالعك عشرات البيوت مزدحمة بعشرات الغانيات من كل جنس .

وهذا اللغط اللاغب الذي يتعالى من حاشية الوادي ألا تسمعه ؟ .. انه لغب سمّار « سالمة الخثعمية » التي يسمونها صداحة الوادي ، يجتمع اليها الشباب في أمسيات القيظ المقمرة ، فتبسط لهم البسط في ردهة دارها ، وتتبدى لهم في أحلى زينة ، وتأمر قيناتها فيبرزن في ثيابهن الرقيقة الموشاة ، وفي أيديهن الطارات والمزامير تتقدمهن صاحبة الطنبور ، فيأخذن في الغناء ، بينما تدور عليهم أقداح الخمر التي تخلط عليهم عقولهم ، فتضج أصواتهم بالصخب اللاغب . ولا يقتصر الأمر على هذا فشعاب مكة وأحياؤها تضج في أكثر لياليها بالغناء والزمر والصخب .

واذا لذّ لك في أية أمسية من أماسي الصيف أن تدلف الى أعاليها ، فستصافحك بطحاؤها مفروشة بطوائف السمار يتحلقون حول مغنيهم أو صاحب مزمارهم على ضوء مشاعل الزيت أو وقود الحطب ، في ضجيج راقص وصخب يملأ الوادي . وستعجب اذا تراءى لك أن تنحدر الى أسافل مكة مما تراه مماثلا لذلك .. من خلق الله المائج بين هضاب الوادي وسفوحه ، لا هم لهم الا أن يطربوا ويرفعوا أصواتهم عالية ، فتختلط بعضها ببعض في صخب لاغب .

ربما ظنهم مثلك خليين ، ليس لديهم ما يشغلهم في دنياهم . لا .. لا يا صاحبي فنهارهم مزدحم بالاحمال الجادة والكسب الفاحش ، الذي لا يحرم ولا يحلل ، ولا تعرف مدى لاحتيالاته وألاعيبه .

واذا شاقك أن تطيل في سهرك فدونك هذه العدوة القصوى وراء المسيل فثمت طائفة من أحباش قريش ترقص على نفحات طبولها .

وتستطيع أن تعرج بمعارج الربوة القائمة على صدر المسيل لتشرف على حشد من شباب فارس هبطوا مكة من أيام ، فباعوا وابتاعوا ، ورأى « شابور » ، وهو من بني جنسهم وقد طالت اقامته بمكة ، أن يحتفل بوداعهم قبل أن يغادروا مكة الى بلادهم ، فجمع الى حفله « درامة » المغنية « وعاتكة » الراقصة في كوكبة من حاشيتهما .. انها ليلة احتشد فيها بارعات الفن ، وتصدرها صناديد قريش وأعيانها .

ألم أقل لك أن أصحاب القيم في مكة لم يحجروا على متعة فيها ، ولم ينكروا أية لذة تستباح ؟ أتقول لي : ولكن كيف تغيرت هذه المعايير بين عشية وأخرى ، ونسي المنحلون سائر ترهاتهم ؟

لا أحسبني أتكلف الرد عليك فأنت أفضل من يعرف ما قاساه « ابن مكة » سيد الخلق ، وما بذله لكبح جماحهم وهدم مقاييسهم ، وانارة الطريق أمامهم .

وعساني أستطيع واياك في أعقاب هذا أن ندلج مع الدالجين في ركاب سيد الخلق صلوات الله عليه لنتتبع في بعض المشاهد بعض ما عانى في سبيل هدايتهم ليكونوا « خير أمة أخرجت للناس » في ظل أقدس بيت رفعت قواعده في مكة ■

بين التأليف والترجمة

بقلم الاستاذ : علي أدهم

يقسم الفيلسوف الألماني « شوبنهاور » المؤلفين الى قسمين : هؤلاء الذين يكتبون من أجل الموضوع الذي يختارونه أو يعنّ لهم واستيفائه والاحاطة به . وهؤلاء الذين يكتبون لمجرد الرغبة في الكتابة ، والحرص عليها ، والاندماج في زمرة الكتّاب . وهو يرى أن الفريق الأول قوم لهم أفكار وآراء ، وتجارب ومشادات تبدو لهم جديرة بأن يجمع متناثرها ، وتسجل أخبارها ، وتنقل الى غيرهم من الناس ليفيدوا منها علما وتجربة ، ويستمتعوا بقراءتها . أما الفريق الآخر فان الذي يحدوهم على الكتابة هو الحرص على المال ، والرغبة في الكسب ، ليسدّوا حاجاتهم ، ويقضوا مطالبهم . ومن اليسير تبيّن سماتهم من الطريقة التي يتبعونها في مطّ أفكارهم الزائفة ، وآرائهم الملتوية . وتجنّب الوضوح والابانة . حتى لا يتكشّف تهافت منطقهم وشطط اتجاهاتهم . ولذلك ينقص كتاباتهم التحديد والتحقيق ، وسرعان ما يدرك الانسان أنهم يكتبون لملء الصفحات دون أن يأتوا بشيء جديد . وقد يعرض ذلك لبعض المؤلفين من الحين الى الحين ، ولكنه الحالة الغالبة على المؤلفين العاديين ، وأمثال هؤلاء لا تجدي قراءتهم ، لأنهم يجترون أفكار غيرهم ، ولا يحسنون عرضها ، ويستعيرون من غيرهم ولا يحسنون الاستعارة .

والذي يكتب من أجل الموضوع والاحاطة بأطرافه ، وجلاء غوامضه ، والقاء الضوء على مشكلاته ، هو الذي يكتب شيئا جديرا بالكتابة ، وخليقا بأن يفيد منه القراء . وفي أوقات ازدهار الأدب والتأليف يكثر والكتّاب المجيدون ، وفي أوقات التخلف وعصور الانحطاط يكثر أدعياء الكتابة والمؤلفون الفارغون .

ويقسّم « شوبنهاور » المؤلفين الى ثلاثة أنواع . النوع الأول : الكتاب الذين يقبلون على الكتابة في أي موضوع من الموضوعات دون أي تفكير سابق ، ويكتفون بالاعتماد على ما احتوته معلوماتهم ، وما علق بذاكرتهم من الكتب التي سبق لهم الاطلاع عليها ، وهؤلاء هم الفريق الأكثر عددا .

والنوع الثاني من الكتّاب هم أولئك الذين يباشرون التفكير حينما يشرعون في الكتابة ، والحافز لهم على التفكير هو الرغبة في الكتابة ، وهؤلاء كثيرون ، وان كانوا أقل عددا بطبيعة الحال من كتّاب النوع الأول .

وهناك فريق ثالث من الكتّاب ، وهم الكتّاب الذين يفكرون قبل الاقدام على تناول الموضوعات والكتابة فيها ، وهؤلاء يدفعهم الى الكتابة فرط امتلائهم بالموضوعات التي أجادوا دراستها ، وأوسعوها بحثا وتنقيبا ، وعرفوا أصولها وفروعها ، ولم يند عنهم مرجع من مراجعها المأثورة ، أو جانب من جوانبها المتعددة ، وهؤلاء هم القلة النادرة . على أن بعض هؤلاء لا يستمدون الدافع القوي الى البحث من نفوسهم ، وانما قد توحي اليهم الرغبة في البحث والتوسع في المراجعة المصادر التي اعتمدوا عليها ورجعوا اليها ، أي أنهم لا بد لهم من دافع الى البحث من أفكار غيرهم ، فهم من أجل ذلك عرضة لأن يقعوا تحت تأثير غيرهم من المؤلفين القدامى ، فتعوز كتبهم الطرافة والتجديد .

وقد يروقنا أحد المؤلفات لا لأن كاتبه قد ارتفع فوق مستوى الكتّاب العاديّين ، وانما لأنه قد أتيحت له فرصة لم تتح لغيره . فالذي رأى حادثة تاريخية مأثورة رأي العين ، وعرف خفاياها ووصفها لنا ، أو الذي زار ناحية من النواحي لم يسبق لأحد غيره العناية بوصفها ، واستقصاء تاريخها ، والوقوف على عادات أهلها وتقاليدهم ، يثير اهتمامنا ، ويدفعنا دفعا الى قراءة كتابه ، والافادة من مؤلفه .

والمؤلف الذي نعجب به ونفيد منه لا بد في أغلب الأوقات أن تتوفر في كتابته ثلاث صفات هامة : احداها عقلية ، والثانية أخلاقية ، والثالثة جمالية . وقوام الصفة العقلية وضوح الرؤية في ذهن الكاتب ، فهو لا يجرى القلم على الطرس الا بعد أن يكون قد استكمل صورة الفكرة التي سيبديها ، ووضحت له معالمها وأبعادها . والجانب الأخلاقي يعتمد على صدق سريرة الكاتب واخلاصه وايمانه بما يقول . أما الصفة الجمالية فمردّها الى قدرة الكاتب على براعة العرض وجمال التنسيق ، فقد يكون الكاتب صاحب أفكار ، ولكنه لا يجيد عرضها والتعبير عنها .

والقراء الذين يحسنون القراءة يقدّرون الكتب بما تزوّدهم به من معرفة ، وما تطلعهم عليه

من آفاق ، وما تسمو بنفوسهم اليه من مستويات عالية ، وما تدخله على نفوسهم من بهجة ، وما تشعرهم به من متعة . فاذا أخلّ الكتاب بأي صفة من هذه الصفات ، أخذ ذلك على مؤلفه ، وعد من عيوبه . والكتب الخالدة التي آثرت الانسانية الابقاء عليها والاحتفاظ بها تمتاز جميعها بهذه المزايا الثلاث ، فهي تمدنا بطريف المعلومات ، وتهذّب نفوسنا بما تقدمه لنا من مثل أخلاقية رفيعة ، وترضي مشاعرنا الفنية بما فيها من براعة العرض وجمال البناء .

ولم تكن حاجة الانسانية الى الترجمة في مختلف عصور الحضارة بأقل من حاجتها الى التأليف ، وربما كانت الحاجة الى الترجمة في العصر الحاضر أشد وأقوى مما كان في العصور السالفة ، وذلك لسهولة المواصلات بين الأمم المختلفة في العصر الحاضر ، وتوافر العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية بينها . وليس الخطأ في الترجمة في هذا العصر بأقل سوء عاقبة من خطأ الصيدلي في اعداد وصفة الطبيب التي ربما نشأ عنها موت المريض ، وقد يكون الخطأ في الترجمة أفدح من ذلك عاقبة وأشد خطرا ، لما ينجم عنه من سوء العلاقة بين الأمم ، والقضاء على أسباب التفاهم بينها . والترجمة منذ أقدم العهود محاولة لتحطيم الحواجز المضروبة بين الأمم ، وطريقة لايجاد حسن التفاهم وتوثيق العلاقات الطيبة التي تعين على تهوين أمر الخلافات ، وتسوية المشكلات والأزمات .

وقد مارس الكثيرون في مختلف الأمم الترجمة ، وعرفوا مشكلاتها ، ومنها مشكلات قد تستعصي على الحل في بعض الأوقات . ولعل هذا هو مصدر الرأي القائل « ان المترجم خائن » ، وذلك لأنه كما يقول المثل العربي « يكدم في غير مكدم » ويحاول محاولة يائسة ، لأن لكل لغة معانيها الخاصة ، وتصوراتها النابعة من البيئة التي يعيش بها المتحدثون بها ، ولها مصطلحاتها المتصلة بمستواها الثقافي ونظرة المتحدثين بها الى الحياة والكون ، ولها ألفاظها الملونة بلون عاداتهم وتقاليدهم والمستمدة من نسيج فكرهم ولون طبعهم . ولكل كلمة في أية لغة من اللغات معناها الخاص الذي قد يعجزنا أن نجد له نظيرا في اللغة الأخرى التي نحاول نقل معناها اليها . ومن أجل هذا لم يكن لبعض اللغات — حتى اللغات الغنية بألفاظها ومعانيها ومصطلحاتها العلمية والفنية ندحة عن نقل بعض الكلمات بنصها من اللغات الأخرى . وكثيرا ما تقابلنا في الكتب الانجليزية والفرنسية ألفاظ ومصطلحات من اللغة اليونانية القديمة واللغة اللاتينية ، لأن الانجليز والفرنسيين لم يجدوا لها مقابلا يعبر عنها بالدقة الكافية في لغتهم . واللغة العربية ، على ما لها من ثروة لغوية وما بها من مرونة وقدرة على الاستيعاب ، قد استعارت الكثير من الألفاظ الفارسية ، والتركية ، وبعض اللغات الأوربية الحديثة .

والمترجم ، مهما بذل من الجهد وأوتي من العلم ، لا يستطيع أن يرتفع الى مستوى الأصل الذي نقل عنه .

ويصدق هذا عن ترجمة النثر والشعر ، ولكنه أظهر في ترجمة الشعر . وقد وجدت في اللغات الأوربية ترجمات بارعة مشهود لها بالقدرة والكفاية لطرائف الأدب اليوناني والأدب الروماني ، ولكن لم يقل أحد من النقاد العارفين ، الذين يمكن الاعتماد على آرائهم ، ان هذه الترجمات قد تسامت الى مستوى تلك الطرف النادرة . وغاية ما يمكن أن يقال فيها انها ترجمات أمينة بارعة تقرب الينا المعنى الأصلي ، ما دمنا نجهل اللغة التي كتبت بها تلك الطرف . وفي اعتقادي أن ترجمة الكتب العلمية أقل صعوبة من ترجمة الطرائف الأدبية ، لأن المصطلحات العلمية قد يسهل تحديد مداها ، والتعبير عن محتواها ، أما ترجمة الآثار الأدبية فانها لا يغني فيها اجادة معرفة اللغة التي تنقل منها واللغة التي تنقل اليها ، لأنها في حاجة ماسة الى لون من ألوان الحدس والحساسية الفنية ، قد لا يتيسر وجوده عند الكثيرين ممن يتصدون للترجمة . وليست الأمانة في الترجمة متوقفة على ما جرى العرف بتسميته الترجمة الحرفية ، فقد تكون هذه الترجمة على نقيض ذلك ، لأن لكل لغة ظلالا من المعاني تحوم حول ألفاظها ، فاذا نقلت هذه الكلمات الى لغة أخرى نقلا حرفيا لم يراع فيه ارتباطها بالجمل التي وردت بها وصلاتها بسياق الحديث واتجاهه ، فانها لا تؤدي المعنى المقصود أداء وافيا ، وتعوز الترجمة الدقة والأمانة في هذه الحالة .

فاذا كان التأليف في حاجة الى عقلية أصيلة ومواهب متعددة الجوانب ، فان الترجمة كذلك في حاجة الى لون من ألوان الأصالة ، وضرب معين من ضروب الاستعداد لا يسهل توفره في كل الأوقات ، وفي الكثير من الناس . وكما أن المؤلف الممتاز من الأشياء النادرة ، فكذلك المترجم القدير الذي يحسن النقل ، ولا يقصر كثيرا عن الأصل الذي ينقل عنه ، ليس من المظاهر العادية المألوفة ، بل هو من الأشياء التي قد لا يتوفر وجودها في كل زمان .

وأنا أحسب أن هناك مانعا من اجتماع الأصالة في التأليف والقدرة على الابتكار ، مع موهبة الترجمة والقدرة على استشفاف روح المؤلفين ، فالكاتب البريطاني الكبير « توماس كارلايل » كان في طليعة الكتاب البريطانيين في القرن التاسع عشر ، وقد استطاع أن ينقل في خلال الفصول التي كتبها عن مشاهير الكتاب والشعراء الألمان أمثال : شيلر ، ورختر ، وورنر ، وغيرهم مختارات من أدبهم تبين مزاياهم ، وتكشف عن خصائصهم الفنية ، وقد قام بنقل رواية « وليام مايستر » التي ألفها الشاعر الحكيم «جيتي» الى اللغة الانجليزية ، نقلا يعد من طرائف الأدب وبدائع الترجمة . وقد قام «جيتي» نفسه بترجمة مختارات من شعر حافظ الشيرازي الى اللغة الألمانية ، وكان « شوبنهاور » ، على أصالته ، يعهد في نفسه القدرة الفائقة على الترجمة ، ففرض على احدى دور النشر في انجلترا أن يقوم بترجمة كتاب « نقد العقل الصافي » ، وأرسل اليها أنموذجا من ترجمته ، ولكن تلك الدار أحجمت عن الاقدام على ذلك مما كان سببا في تأخير ترجمة الكتاب الى اللغة الانجليزية . وقد قام المرحومون العقاد ، والمازني ، وشكري بترجمة بعض الأشعار من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية ترجمة تجمع بين الأمانة والاجادة ، وهم من الأدباء المجددين الذين لا يشك في أصالتهم وقدرتهم على التجديد في الأدب العربي . ومستوى ابن المقفع في « الأدب الصغير » و « الدرة اليتيمة » لا يقل بحال عن مستواه في « كليلة ودمنة » المنقول عن اللغة الهندية ، مما يدل على أنه كان يجمع بين أصالة التأليف وموهبة الترجمة . وأحسب أن هذا يصدق عن الفيلسوف العربي الأندلسي الكبير « ابن رشد » .

وموجز القول أن التأليف يحتاج الى الاطلاع الواسع ، والفكر الراجح ، وقوة الخيال والتصور والحساسية الفنية ، كما أن معالجة مشكلات الترجمة وممارستها والتغلب عليها في حاجة الى سعة المعرفة ، والقدرة على فهم أسرار اللغات ، واستشفاف روحها من خلال الألفاظ والتعبيرات . واذا كان التأليف يعتمد على الأصالة والقدرة على الابتكار ، فان الترجمة كذلك تستلزم لونا خاصا من ألوان الأصالة والاستعداد ■



إنشاد الشاعر شعره

بقلم الاستاذ علي الجندي

أن ينشد الشاعر شعره بنفسه ، اذا لم يكن هناك سبب قويّ يمنعه من القائه ، ذلك لأن القصيدة قطعة من الشاعر ، وصورة نفسه ، ونضح شعوره ، وفيض وجدانه ، وترجمان احساسه ، ووسم تجربته .

هذا الى أن الشاعر أدرى بمراعاة معانيه في حال انشاده ، وأعرف بما صاغه من جمل انشائيّة وخبريّة ، ترتبط بنفسه ارتباطا وثيقا ، وأقدر على تصوير انفعاله ، ونقل تجربته كاملة الى مستمعيه ، حتى كأنهم قد شركوه في قرض قريضه .

بل ان الذي يتطوّع بالقاء شعر غيره ، لا يحسن الالقاء ، الا اذا كان فاهما لمعانيه كلّ الفهم ، حتى يستطيع أن يتفحّص روح الشاعر ، ويتشرّب عواطفه وأحاسيسه .

وقد أشار الأقدمون الى أهمية القاء الشاعر شعره بصوته ، فمن ذلك أن الشاعر أبا القاسم الزعفراني ، كان يوما في دار الصاحب بن عبّاد ، فنظر جميع الخدم والحاشية عليهم ثياب الخزّ الفاخرة الملوّنة ، فاعتزل ناحية ، وأخذ يكتب شعرا يطلب به من الصاحب ثياب خزّ ، أسوة بالحاشية. فرآه الصاحب فأمر بأخذ القرطاس منه ، فقال الزعفراني : أيد الله مولانا الصاحب ،

اسمعه ممّن قاله تزدد به

عجبا فحسن الورد في أغصانه

ويقولون : انّ عليّ بن الخليل الشاعر دخل الى الرشيد وفي يده قصة ، وكان الرشيد جالسا للنظر في المظالم . فلما رآه ، أمر بأخذ القصة منه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أحسن عبارة لها ، فان رأيت أن تأذن لي في قراءتها . فاذن له ، وأجازه بخمسة آلاف درهم .

وكان الرشيد لحبه للأدب ، وكلفه بالفصاحة ، يطرب لانشاد الشعر أكثر من طربه للغناء .

ولما دخل المأمون بغداد ، أمر باحضار دعبل الخزاعي ، بعد أن أعطاه الأمان ، واستنشده مرثيته المشهورة في آل البيت ، وفجيعتهم في « كربلاء » . فاستعفاه دعبل ، لأن فيها تعريضا بالعباسيين . فقال له المأمون : لا بأس عليك وقد رويتها ، وانما أحببت أن أسمعها منك . فاندفع دعبل ينشد ، حتى اذا بلغ قوله :

وآل رسول الله نحف جسومهم
وآل زياد غلظ القصرات

بنات زياد في الحجال مصونة
وبنت رسول الله في الفلوات

بكى المأمون ، وجدّد له الأمان ، وأحسن صلته.

فأنت ترى المأمون مع روايته للقصيدة ، لم ير بدا أن يسمعها من صاحبها ، لأن سماعها منه أشجى وأعمق تأثيرا .

يقول الجاحظ : التاج بهيّ وهو على رأس الملك أبهى ، والياقوت حسن وهو في جيد المرأة أحسن ، والهدية حسنة وهي من عندك أحسن .. الى أن يقول : والشعر حسن وهو من فم قائله أحسن .

ويقول النقاد : ان الشاعر اذا أنشد شعره تظهر عليه الوجمة ، واذا أنشد شعر غيره لا يبالي ما حدث من استحسان أو استقباح .

ويقول المازنيّ من مقطوعة عنوانها « انشاد الشاعر شعره » :

وأعذب منه الشعر يتلوه ربّه
ويفرغ فيه روحه وهو ينشد

يحسّ اذا أجرى اللّسان كأنما
لماضي شجاه كرّة تتردد

كما قرّت الأمواج بعد نزائها
وما زالت الأمواج ترغو وتزبد

ويحتاج الانشاد من الشاعر أن يحتفل له بما يجعله أنيقا في العيون ، مهيبا في الصدور ، جليلا في الاسماع . ليلفت اليه الشهود حسا ومعنى ، ظاهرا وباطنا . وليعطفهم عليه ، ويدفع نفرتهم عنه . وسأمهم منه .

وقد كان الشاعر الجاهلي اذا أراد الانشاد لشعر الهجاء ، دهن أحد شقّي رأسه وأرخى ازاره ، وانتعل نعلا واحدة ، كما فعل لبيد بن ربيعة العامري ، حين هجا أخواله من بني « عبس » تعصّبا لأعمامه « بني عامر » في حضرة النعمان ابن المنذر ، ملك الحيرة ، بالقصيدة التي يقول فيها :

مهلا أبيت اللعن — لا تأكل معه ...

يقصد زيادا العبسيّ . وكان لبيد اذ ذاك غلاما صغيرا ، فلم يكتف قومه العامريون بهيئته المتقدمة . فزادوا عليها بأن حلقوا رأسه ، وتركوا له ذؤابتين ، وألبسوه حلة ، ليفخّموا أمره ومرآه . وقد كان من تأثير هذه القصيدة التي ألقاها هذا الصبي الشاعر ، أن صرف النعمان زيادا العبسيّ عن مجالسته ومؤاكلته ، وكان من خاصة حاشيته .

ويقول الجاحظ : كانت الشعراء تلبس الوشي ، والمقطّعات ، والأردية السود ، وكل ثوب مشهّر .

وفد العمانيّ الراجز على الرشيد لينشده ، وعليه قلنسوة طويلة وخفّ ساذج . فقال له الرشيد : يا عمانيّ ، اياك أن تنشدني الا وعليك عمامة عظيمة الكور ، وخفّان لقمّان . فبكر اليه من الغد ، وقد تزيا بزيّ الأعراب ، ثم أنشده ، فأعظم له الجائزة .

من هذا نفهم أن الخلفاء كان يروقهم أن يقف المنشدون أمامهم في بزّة شائقة ، وهيئة حسنة . كما كانوا يحبون أن ينشدوهم في لباس الأعراب .

وحين بلغ أبا تمام نعي محمد بن حميد الطوسيّ ، غمس طرف ردائه في مداد ، ثم ضرب به كتفيه وصدره ، وأنشد في رثائه قصيدته المشهورة ، التي تعدّ من أمهات قصائد الرثاء في الشعر العربي . ومطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يغض ماؤها عذر

ومنها :

وقد كان فوت الموت سهلا فردّه
اليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنه
هو الكفر يوم الرّوع ، أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت أخمصك الحشر

والى ذلك أشار ابن الزنجيّ الكاتب المغربي من مرثيته لابن خلدون :

لولا الحياء وأن أجيء بفعلة
تقضي عليّ بها سيوف ملام
وأكون متّبعا لأشنع سنّة
قد سنّها قبلي « أبو تمام »
للبست ثوب الثاكلات وكنت في
سود الوجوه كأنني من « حام »

وكان أستاذنا شاعر البادية ، الشيخ محمد عبد المطلب الجهنيّ ، كثيرا ما ينشد شعره في المحافل ، وقد لبس « الكوفية » و « العقال » تذكيرا بأسلافه الأول . فكان ذلك يزيد في هيبته وجلاله ، ويجعله ملء البصائر والأبصار . ولعل السر في ذلك أن الكوفية والعقال ترامى بأخيلتنا الى مهد الشعر الأول وهو جزيرة العرب — وتستحضر في أذهاننا صور آبائنا ، وهم يتناشدون أشعارهم في أسواق عكاظ ، ومجنة ، وذي المجاز ، ثم في مربد البصرة في أزيائهم الأعرابية الجميلة الرائعة ، فنعيش معهم برهة من الزمان ، نسبح في أحلام سارّة موشّاة . والحر يحنّ الى أوليته ، حنين الشيخ الى طفولته والعاشق الى معاهد صبوته .

وللشعراء عادات في انشادهم عرفوا بها قديما وحديثا . فالخنساء كانت تهتز في مشيتها ، وتنظر في أعطافها .. صنعت ذلك حين أنشدت قصيدتها الرائية التي تقول فيها :

وان صخرا لتأتمّ الهداة به
كأنه علم في رأسه نار
وأن صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتوا لنحّار

وكان كعب بن زهير اذا أنشد شعرا ، قال لنفسه : أحسنت وجاوزت — والله — حدّ الاحسان . فيقال له : أتحلف على شعرك ؟ فيقول : نعم ، لأني أبصر به منكم .

وكان الكميت اذا قال قصيدة صنع لها خطة في الثناء عليها ، ويقول عند انشادها : أي علم بين جنبيّ ؟ وأي لسان بين فكيّ ؟

وكان أبو النجم العجليّ اذا أنشد أزبد ، ورمى بثيابه .

وكان بشار اذا أراد الانشاد ، صفّق بيديه ، وبصق عن يمينه وشماله ، ثم ينشد فيأتي بالعجب .

وكان الأصمعي اذا أنشد شعرا ، أتى بآخر في معناه .

وكان الطرّماح بن حكيم لا ينشد الا جالسا ، وقد وفد هو والكميت بن زيد الأسدي على مخلد ابن يزيد بن المهلب الأزدي ، فتقدّم الطرّماح لينشد جالسا ، فقيل له : أنشد قائما ، فقال : كلا والله . ما قدر الشعر أن أقوم له ، فيحطّ من قدري بقيامي ، وأحطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر ، وبيت الذكر لمآثر العرب . فنحّي ، ودعي الكميت ، فأنشد قائما ، فأمر له مخلد بخمسين ألف درهم . فلما خرج شاطرها الطرماح ، وقال له : أنت أبعد همة ، وأنا ألطف حيلة .

وكان الفرزدق يتكبر أن ينشد قائما ، كما يقول أبو عبيدة ، فدخل على يزيد بن عبد الملك ، أو سليمان ، يوما ، فأنشده شعرا فخر فيه بآبائه من بني تميم ، فقال له الخليفة : هذا المدح لي أم لك ؟ فقال : لي ولك يا أمير المؤمنين . فغضب الخليفة ، وقال : قم فأتمم ، ولا تنشد بعد الا قائما . فقال الفرزدق : لا والله ، أو يسقط الى الأرض أكثرُ شَعْري — يعني رأسه ... فأخرجه الخليفة من مجلسه .

وكان البحتري رديء الانشاد ، قبيح الحركات ، وكان اذا أنشد يختال ويعجب بما يأتي به . وكان من عادته اذا فرغ من القصيدة ، أن يعيد البيت الأول ، وقد يعيد بيتين من أول القصيدة .

وكأن كثيرا من شعراء العصر يفعل ذلك ، ولا بأس به ، فهو استعادة لجو القصيدة كلّها وربط لمقطعها بمطلعها ، وايذان بالفراغ منها . وهذا هو الجمال الوحيد في انشاد البحتري . وأما ما عدا ذلك ، فحسبنا قول جحظة البرمكيّ فيه : كان البحتري من أبغض الناس انشادا ، يتشادق ويتزاور في مشيته ، مرة جانبا ، ومرة القهقري . ويهزّ رأسه مرة ، ومنكبيه أخرى . ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ، ويقول : أحسنت والله . ثم يقبل على السامعين ، فيقول : مالكم لا تقولون : أحسنت ؟ هذا والله مما لا يحسن أحد أن يقوله .

والبحتري في هذا يتأسى بكعب بن زهير ، والكميت ، ولكنه أفرط حتى سخف .

وكان المتنبي ينشد جالسا مقلّدا الطرّماح والفرزدق ، وقد قالوا : انه اشترط على سيف الدولة أن ينشده وهو قاعد . وحينما أنشد سيف

الدولة قصيدته المشهورة :

لكل امرىء من دهره ما تعوّدا
وعادة سيف الدولة الطعن في العدى

قال له بعض الحاضرين : لو أنشدتها قائما لأسمعتها الناس . فقال المتنبي : أما سمعت أولها ؟ يقصد قوله : (لكل امرىء من دهره ما تعودا) فتخلّص أحسن تخلّص .

ولكن هذا المختال في بلاط الأمير العربي البطل ، قد بهره البلاط المصري في عهد كافور الاخشيدي ، فتطامنت نفسه ، وتبخّرت مخيلته ، ونسي عادته ، فأنشد قائما . ويظهر أن كافور أعجب لذلك التغيّر ، ومخالفة الرسم الذي جرى عليه الشاعر ، فسلّط عليه من يقول له : « قد طال وقوفك في مجلس كافور » ، ليعلم ما عنده . فكان جوابه أكثر امعانا في الخضوع ، قال :

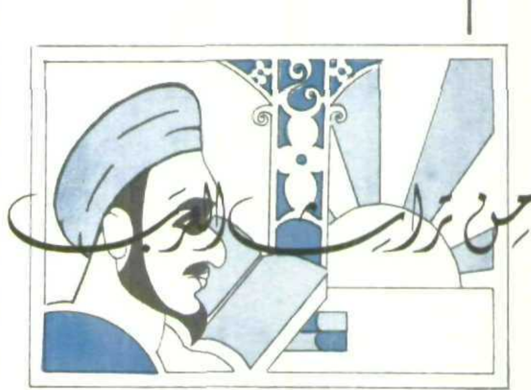
يقلّ له الوقوف على الرؤوس
وبذل المكرمات من النفوس

ويذكرون كذلك : أن دعبلا الخزاعيّ ، مدح الوزير محمد بن عبد المطلب الزيات قاعدا ، فلما فرغ من انشاده أمر له بشيء يسير ، فلم يرضى به دعبل ، فهجاه .

والحق أننا لا نرى معنى لتمسّك بعض الشعراء القدامى بالانشاد قاعدا — متى كان قادرا على القيام — الا الزهو والعنجهيّة ، وخاصة اذا كان الانشاد أمام خليفة من الخلفاء . والشعر لا يصلح انشاده من قعود ، فانه يذهب بكثير من بهائه وجلاله ، ولا يستطيع الشاعر مع القعود أن يسمع الناس كما ينبغي ، كما لا يستطيع أن يفتنّ في القائه ويكيّف انشاده وفق حركاته . ومثل هذا يقال في الخطابة أيضا .

والشاعر القديم كان ينشد شعره أمام الخلفاء والملوك وأصحاب الرّياسات ، ليستميح جدواهم ، ويستجدي أعطياتهم بمدائحه لهم ، فهو في طلب النوال بالمديح أكثر احراجا من الانشاد قائما — ان صحّ أن في الانشاد من قيام حرجا . ولله في خلقه شؤون ■

* * * *



في الصدق النجاة

خرج الشعبي من ابن الأشعث على الحجاج ، فظهر الحجاج على ابن الأشعث ، فاستشار الشعبي أصحابه فأشاروا عليه بالاعتذار ، قال الشعبي : فلما دخلت خالفت مشورتهم ، ورأيت والله غير الذي قالوا : فسلمت عليه بالأمرة ثم قلت : أيد الله الأمير ، ان الناس قد أمروني أن أعتذر بغير ما يعلم الله انه الحق ، ولك الله ألا أقول في مقامي هذا الا الحق : قد جهدنا وحرصنا ، فما كنا بالأقوياء الفجرة ، ولا الأتقياء البررة ، ولقد نصرك الله علينا ، وأظفرك بنا . فان سطوت فبذنوبنا ، وان عفوت فبحلمك والحجة لك علينا ، فقال الحجاج : أنت والله أحب الينا قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا ، ويقول : والله ما فعلت ولا شهدت ، أنت آمن يا شعبي . فقلت : أيها الأمير اكتحلت والله بعدك السهر ، واستحلست الخوف ، وقطعت صالح الأخوان ولم أجد من الأمير خلفا . قال : صدقت . وانصرفت .



قال : لا يستحق أحد حقيقة الايمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه ، فانه اذا فعل ذلك لم يصلح عيبا الا وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له أن يصلحه ، فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وانك ناظر الى عملك يوزن خيره وشره ، فلا تحقرن شيئا من الخير وان صغر ، فانك اذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئا من الشر وان صغر ، فانك اذا رأيته ساءك مكانه .

الثقيل والظريف

تردد ثقيل على ظريف وأطال تردداه عليه حتى سئم منه ، فقال له الثقيل : من تراه أشعر الشعراء ؟ فأجابه الظريف : هو ابن الوردي بقوله :

غب وزر غبا تزد حبا فمن
أكثر الترداد أضناه الملل

فقال الثقيل أخطأت فان النجاري أشعر منه بقوله :

اذا حققت من خل ودادا
فزره ولا تخف منه ملالا
وكن كالشمس تطلع كل يوم
ولا تك في زيارته هلالا

فأجاب الظريف ، ان الحريري أشعر منه بقوله :

ولا تزر من تحب في كل شهر
غير يوم ولا تزده عليه

وان لم تصدقني فقد وهبتك الدار بما فيها ، وخرج وهو يقول :

اذا حل الثقيل بأرض قوم
فما للساكنين سوى الرحيل

فخجل الثقيل وذهب في سبيله .

هشام بن عبد الملك والأعرابي

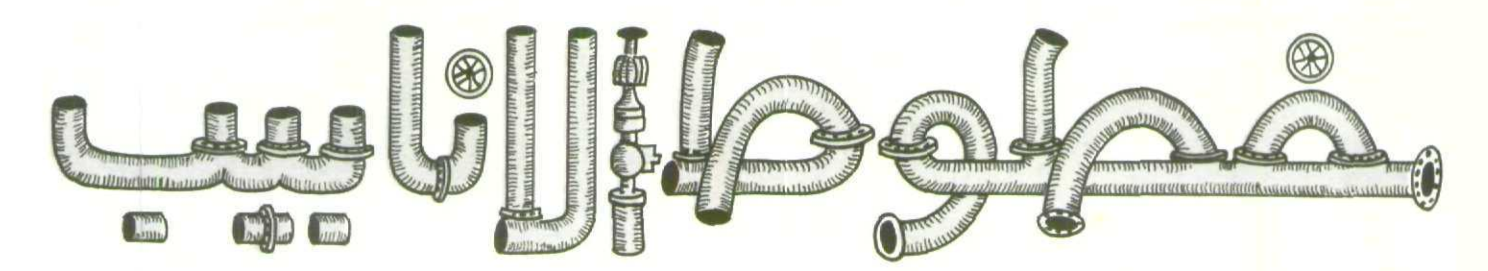
مدح أعرابي هشام بن عبد الملك فقال له هشام : يا هذا ، ان مدح الرجل في وجهه غير مرغوب فيه ، ومنهي عنه ، فلا تمدح الناس في وجوههم . فقال الأعرابي . والله يا هشام اني لست أمدحك ولكنني أذكرك بنعم المولى تبارك وتعالى عليك ، حتى لا تنساها ، فتجدد لها شكرا .



للدكتور زكي المحاسني

فديت نجواك فيما قلت من كلم ... والسحر عندك في التبيان والنغم
يا حلوة اللفظ ، يا زين اللغات اما ... كفاك ما حلّ في ناديك من حكم
حتى سكبت على الأشعار نضرتها ... فاطلعت زهرها مفتونة الحلم
أو حازها العنف في حمس الوغى فغدت ... كأن بركانها قد شار بالحمم
كم شاعر فيك أحياه الزمان بما ... أحياك وهو رهين الجسم في الرمم
وكم بليغ بنثر منك نال عُلى ... من الوزارة حتى فاق بالشيم
اذا الخيال مضى بالشعر سامقه ... فطار في الجو يبغي حومة النُجم
فالنثر كان قرين العقل كاتبه ... وفارق السجع حتى جلّ في القيم
جيش رأيت عليه الحرب ماثلة ... سلاح أبطاله في القول والقلم
تسري معانيه في الليل البهيم على ... ضوء اليراع على خيل من الدهم
وفي النهار له شمس اذا طلعت ... تغار شمس السما منها على أمم

أم اللغات بجرس اللفظ ناغمة ... سمعت فيك لحونا فقن في الرخم
قرآنك الأعظم استقصى هواي ، فما ... في الأرض من شامخ داناه في العظم
لو الجبال لها أذن فتسمعه ... لسابقت حمدها في نطقها بفم
يا ليتني كنت في ركب الرسول فتى ... أسعى لأسمعه في جملة الحشم
يتلو الكتاب بترتيل وصحبته ... متيمون به يفدونه بدم
أعُبّ من فيضه الآيات سابية ... وأغمر الوجه ، في نور ، من الظلم
أم البيان ، وبنت الخلد يا لغتي ... جفّ اللّسان وفيك الفيض كالديم
وقد عدت عصبة نكراء مزعمها ... في جدّة الشعر لم تنجب سوى العقم
فأجدبت في قريض ظلّ وازنه ... وعاث باخله في موئل الكرم
أرى حياتي على رفد السماء شدت ... ملاحما أنا فيها صاحب السّلم
يا (أمتي) لن تنالي الفوز في طلب ... الا بصونك قدر الضّاد في الحرم
الله أعطاك في العرباء منطقها ... لكي تكوني بها في هامة الأمم



خطوط الانابيب

شرايين صناعة الزيت

تلوى الأنابيب وتثنى حسب مقتضيات الانشاء .

مثلما تمتد الجذور الى أعماق الأرض ، لتستمد من جوفها ما تحتاج اليه الأشجار من ماء وغذاء ، ثم تجتمع من أصغر الى أكبر حتى تلتقي في النهاية في الساق الذي يتولى مهمة نقل نسغ الحياة الى الأغصان لتورق وتزهر وتعطي الثمرة المرجوة ، كذلك الأمر بالنسبة لخطوط الأنابيب في صناعة الزيت . فالأنابيب ذات الأقطار الصغيرة تمتد من فوهة البئر الى جوف الأرض لتحمل الزيت الى أنابيب التجميع الفرعية، التي تنقله بدورها الى خطوط تجميع أكبر تنتهي به – بعد خروجه من معامل الفرز – في خطوط أنابيب رئيسية تتولى مهمة نقله الى معامل التركيز ، فمعامل التكرير ، حيث يعالج ويصنّع الى منتجات ومشتقات بترولية عديدة ، تتفرع في أنابيب تحملها الى مرافق الشحن .. وما خطوط الأنابيب الا شرايين صناعة الزيت ، وأوفر الوسائل المعروفة لنقله من مكامنه الى مرافق المعالجة والشحن .

تاريخ استخدام خطوط الأنابيب في نقل الزيت ومشتقاته

يرجع تاريخ ميلاد صناعة الزيت الحديثة الى الثامن والعشرين من أغسطس عام ١٨٥٩ ، عندما كتب للكولونيل « ادوين دريك » النجاح في العثور على الزيت عن طريق حفر بئر عمقها ٢١ متر تقريبا . وكانت هذه البئر التي لم يتعد انتاجها ٢٠ برميلا من الزيت الخام في اليوم ، نقطة تحول في تاريخ صناعة الزيت وحافزا سريعا على تطوير مراحلها . وبعد اكتشاف حقل « أويل كريك » ، وتطويره ، كان من الضروري انشاء معمل لتكرير الزيت الخام المستخرج منه . وبالفعل تم انشاء أول معمل لتكرير الزيت في مدينة « أويل سيتي » على بعد حوالي ١٥ كيلومترا من حقل الانتاج . ثم تلته معامل أخرى في المدينة نفسها وفي مدينة « بتسبرغ » التي تبعد حوالي ١٠٠ كيلومتر عن الحقل المذكور . وهنا كان لابد من البحث عن وسيلة يتم بها نقل الزيت من الحقل الى معامل التكرير . ولما كانت محطة السكة الحديد تبعد آنذاك حوالي ٢٥ كيلومترا عن حقل « أويل كريك » ، فقد وجد أن القوارب هي أفضل وسيلة لنقل الزيت . غير أن القائمين على صناعة الزيت اكتشفوا فيما بعد أن وسيلة النقل بالقوارب لم تعد عملية من الوجهة الاقتصادية ، فتحول بذلك نظرهم الى سكة الحديد كحل آخر للمشكلة . فمدت الخطوط الحديدية الى مختلف حقول الزيت ، وبدأ استخدامها كوسيلة للنقل .

وكانت أول شحنة من الزيت الخام نقلت بواسطة السكة الحديد في خزانين خشبيين . سعة كل منهما ٤٠ برميلا . ثم أبدلت الخزانات الخشبية . بعربات صهريج خاصة من عربات سكة الحديد المعدنية . واستعملت العربات التي تجرها الخيول في نقل الزيت الخام الى محطة السكة الحديد . وكانت تحمل كل منها سبعة براميل خشبية ، سعة الواحد منها حوالي ١٥٠ كيلوغراما . بيد أن هذه العربات أثارت مشكلة جديدة ألا وهي مشكلة الزحام وعرقلة السير . وظلت هذه المشكلة تواجه رجال صناعة الزيت الى أن توصل أحدهم الى فكرة استخدام خطوط الأنابيب . فكان ذلك ايذانا بمولد صناعة جديدة .

كان صاحب الفكرة هو الكولونيل « س. د. كارتز » ، وقد اقترح في عام ١٨٦٠ انشاء خط للأنابيب من « برننغ سبرنغ » في ولاية «فرجينيا» الى نهر « أوهايو » ، ولكن نشوب الحرب الأهلية حال دون تنفيذ مشروعه . وفي عام ١٨٦٢ ، جرت أول محاولة لبناء خط للأنابيب ، قام بها « جيمس هانتنج » ، فأنشأ خطا طوله ٣٠٥ أمتار ، يعمل بالضغط الجوي ، ويصل بين بئر تقع في حقل « تـار » ومعمل للتكرير يقع في « همبورت » . وفي عام ١٨٦٣م ، مد خط أنابيب آخر من الحديد الصلب ، طوله حوالي ٤ كيلومترات ، وقطره ٦ سنتمترات . يصل بين الحقل ومعمل التكرير السالفي الذكر . وقد استخدم لهذا الخط ثلاث مضخات لدفع الزيت عبر جسر طوله نحو ١٢٧ مترا . ولكن تسرب الزيت من وصلات الانبوب . وعطب المضخات ، أسفرا عن عدم صلاحيته . ثم أعقبت هـذه المحاولة . محاولة أخرى مماثلة . لكنها أيضا باءت بالفشل للأسباب نفسها . وهنا برز الحديد المطاوع ليحل مشكلة التسرب . وفي ربيع عام ١٨٦٤ ، بديء بانشاء أول خط للأنابيب من هذا النوع طوله كيلومتر واحد وقطره خمسة سنتمترات لنقل الزيت الخام . من « بت هول » الى محطة سكة الحديد « ميلر فارم » . وقد تم بناؤه في ٧ أكتوبر عام ١٨٦٥ ، من وصلات أنابيب طول كل منها حوالي ٥ أمتار ، كما جرى فحصه عن طريق تعريضه لضغط مقداره ٩٠٠ رطل على البوصة المربعة . وقد جرى مد قسم من هذا الخط فوق سطح الأرض ، والقسم الآخر تحته على عمق نصف متر تقريبا . وقد نجح هذا الخط . وأصبح بمثابة نقطة انطلاق لهذه الصناعة الجديدة التي غدت اليوم تشغل آلاف العمال في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ، وتستثمر حوالي أربعة بلايين دولار (١٨ بليون ريال سعودي) سنويا في شبكات تزيد أطوالها على ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر وتنقل حوالي ٨٠ في المائة من انتاج الولايات المتحدة الأمريكية من الزيت الخام والمنتجات المكررة .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية ، انطلقت شركات الزيت العالمية تبحث عن الزيت فـي أنحاء المعمورة ، تواكبها في الوقت نفسه صناعة الأنابيب ، لتؤمن لها وسيلة من أفضل وسائل النقل وأوفرها . فاكتشفت حقول زيت جديدة

في مختلف أنحاء العالم ، ولا سيما في الشرق الأوسط . ولما كانت معظم الحقول التي اكتشفت تقع في قلب الصحراء ، فقد أقيمت خطوط أنابيب لنقل الزيت الخام منها الى الفرض البحرية . ولعل أطول خط للأنابيب عرفه الشرق الأوسط عام ١٩٥٠ هو خط الأنابيب عبر البلاد العربية (تابلاين) الذي يبلغ طوله من القيصومة الى صيدا على البحر الأبيض المتوسط ١٢١٣ كيلومترا ، ويتراوح قطره بين ٧٦ و ٧٩ سنتمترا .

خطوط الانابيب في ارامكو

ان أول خط للأنابيب أنشأته أرامكو هو ذلك الخط الذي يصل بين خزانات الظهران وفرضة الخبر البحرية . ويبلغ طوله حوالي ١٠ كيلومترات وقطره ١٥ سنتمترا ، ثم يليه خط أنابيب الظهران — رأس تنورة وطوله ٦٣,٣ كيلومترا ، وقطره ٢٥ سنتمترا . وأخذت أرامكو توالي انشاء خطوط الأنابيب تبعا لازدياد الانتاج ، حتى أصبحت اليوم تملك شبكة ضخمة تخترق الصحراء حاملة الزيت المتدفق من حقولها الغنية الى مرافق المعالجة والشحن في رأس تنورة ، حيث يكرر قسم من الانتاج للاستهلاك المحلي ، ويشحن القسم الباقي ، على متن الناقلات ، الى الأسواق العالمية . هذه الشبكة من الأنابيب يبلغ مجموع أطوالها ٢٢٥٠ كيلومترا خاصة بنقل الزيت الخام ، و ٤٥٢ كيلومترا خاصة بنقل المنتجات المكررة ، وتتراوح أقطارها ما بين ١٥ و ١٠٥ سنتمترات . ويمكن اعتبار خطوط الأنابيب هذه — بالاضافة الى كونها وسائل نقل — بمثابة خزانات ، يستوعب كل منها مئات الآلاف من براميل الزيت . فخط الأنابيب بقيق — رأس تنورة مثلا ، الذي يتراوح قطره بين ١٠٠ و ١٠٥ سنتمترات ، والذي تم انجاز أكثر من ثلثيه حتى الآن ، يحتاج لملئه بالزيت بعد انشائه ، الى حوالي ٢٦٥٠٠٠٠٠٠ جالون . وهذه السعة تفوق سعة أكبر خزان تملكه أرامكو . فاذا علمنا أن لدى الشركة ٥٠ خطا من الأنابيب لنقل الزيت الخام يبلغ معدل أطوالها ٤٠ كيلومترا ، وسبعة عشر خطا لنقل المنتجات المكررة يبلغ معدل أطوالها ٢٠ كيلومترا ، أدركنا مقدار الثروة المختزنة في هذه الأنابيب . وشبكة خطوط الأنابيب هذه ، لا تقف عند هذا الحد فحسب ، بل تظل في توسع مطرد تبعا للتطورات التي تطرأ على حقول الزيت واستجابة لمتطلبات الأسواق . وقد اجتذب هذا التوسع في خطوط الأنابيب عددا من المقاولين السعوديين ، للقيام بعمليات مد الأنابيب وتغليفها حسب المواصفات المطلوبة .

مراحل انشاء خطوط الانابيب

ليست عمليات انشاء خطوط الأنابيب بالسهلة الهينة ، كما يتبادر الى أذهان البعض ، بل انها عمليات فنية ضخمة يتطلب انجازها جهودا ودراسات هندسية واسعة ، بالاضافة الى رسم الخرائط والتصاميم ووضع المواصفات الدقيقة اللازمة .

وأول خطوة يقوم بها الفنيون عند انشاء أي خط للأنابيب ، هي اجراء مسح كامل للمناطق التي سيمر عبرها ، ثم ازالة العوائق الصخرية منها . بعدئذ تلقى وصلات الأنابيب على طول الخط ، ثم يشرع فريق من العمال بثني ما يجب ثنيه منها ، ويبدأ اللحامون الأكفاء بلحم وصلات الأنابيب ، البالغ طول كل منها نحو ٢٥ مترا ، الى وصلات كبيرة يبلغ طول كل منها ٦١٠ أمتار تقريبا . وبعد ذلك تفحص هذه الوصلات بأشعة «أكس» ثم بالهواء المضغوط بمعدل ١٨ رطلا على البوصة المربعة .

وأثناء عملية الفحص يقوم فريق من العمال



تتطلب عمليات انشاء خطوط الانابيب استخدام عدد من المعدات الثقيلة والرافعات.



تلحم وصلات الأنابيب ببعضها من الداخل والخارج على حد سواء .

يستخدم لمد الأنابيب في المناطق المغمورة قارب خاص يجري لحم وصلاتها على متنه ، ثم القائها تدريجيا في الماء . تصوير : مودي



ساحة الأنابيب في الظهران حيث تكدس الوصلات بانتظار شحنها الى مواقع العمل والانشاء .

بحفر الخنادق . وآخر بتغليف الأنابيب لصيانتها من التآكل . وتتم عملية التغليف بتمرير الأنبوب عبر آلة خاصة تزيل الصدأ عنه ، ثم ترشه بدهان واق . وبعد ذلك يغطى جدار الأنبوب بطبقة من مطاط « البوتال » . ثم بطبقة من الورق المقوي المطلي بالأسفلت . ولدى اتمام عمليتي التغليف وحفر الخنادق . تنزل وصلات الأنابيب الجاهزة في الخنادق المعدة . وتطمر على طول الخط . مع الابقاء على مواقع معينة بغير طمر . ثم تركب صمامات التهوئة . ومجاري التصريف . وأجهزة تحويل الزيت من خط الى آخر .

أما الأنابيب التي تمر عبر المناطق الصخرية الوعرة أو الأراضي الصبخية . فيجري تثبيتها على قواعد من الاسمنت المسلح ترتفع حوالي نصف متر عن سطح الأرض ، مما يجعل تغليفها أمرا غير ضروري .

ولدى الانتهاء كليا من بناء خط الأنابيب . تجري تجربته بالماء مدة ساعتين لمعرفة قوة تحمله لضغط معين . وبعد ذلك يفتح أحد طرفي خط الأنابيب لتصريف الماء منه . ثم تدفع داخل الخط أسطوانة معدنية تدخل فيه بأحكام لاخراج الماء المتبقي منه ويندفع الزيت خلفها مالئا الأنابيب . وتحتوي هذه الأسطوانة على مواد مشعة تمكن أجهزة ألكترونية . من تتبعها لمعرفة المكان الذي وصل اليه الزيت .

أما المعدات الضرورية لمد خطوط الأنابيب فهي سيارات ذات مواصفات خاصة تستطيع السير على الرمال بسهولة ، وسيارات ذات شوكات جانبية لرفع الأنابيب . ورافعة متنقلة لتحميل الأنابيب وتفريغها . وشاحنات لنقل الأنابيب الى الأماكن التي يجري فيها العمل ، ومجموعة من آلات اللحام . وآلة لتنظيف الأنابيب وتغليفها . تتبعها عربة لحمل الدهان الأساسي ، وآلة لحفر الخنادق . وجرافة لطمرها ، وسيارة صهريج لنقل الزيت الخام الذي يستعمل في تركيز الرمال بعد طمر الخنادق .

انشاء خطوط الأنابيب في الخطوط المغمورة

تختلف عمليات انشاء خطوط الأنابيب في المناطق المغمورة عنها على اليابسة ، فضلا عن التكاليف المترتبة عليها والتي تضاهي ثلاثة أضعاف التكاليف المترتبة على انشائها على اليابسة .

وتغطى الأنابيب التي يزمع مدها في المناطق المغمورة ، بعد تغليفها ، بطبقة من الاسمنت يتراوح سمكها بين ثلاثة وثمانية سنتمترات تبعا لضخامة الأنبوب ، وذلك لوقايتها من ناحية ، ولتسهيل انزالها الى القاع من ناحية أخرى . ويتم مد الأنابيب المغمورة بواسطة مركب خاصة تسحب وراءها منصة تستخدم في حمل الأنابيب قبل انزالها في البحر . وللمنصة أنابيب في جانبيها تملأ بالماء عندما يراد انزال الأنابيب المزمع مدها الى البحر ، فتنحني المنصة تدريجيا حتى تلقي بالأنبوب في القاع . وقبل انزال الأنابيب يجري لحم وصلاتها على ظهر المركب ودفعها باتجاه المنصة . ويستطيع هذا المركب مد حوالي ١٢٢٠ مترا من الأنابيب يوميا .

ومن المعروف أن لكل خط من خطوط الأنابيب محطات للضخ من شأنها دفع الزيت عبره تحت ضغط مرتفع . ويوجد لدى أرامكو حاليا احدى عشرة محطة ضخ يبلغ مجمل طاقتها حوالي ١٠٠٠٠٠ حصان ميكانيكي ، وهي تعمل باستمرار مسهمة في زيادة الانتاج . مع العلم بأن في كل معمل لفرز الغاز من الزيت مجموعة من المضخات تساعد محطات الضخ في عملية دفع الزيت عبر الأنابيب . وتتوقف طاقة محطات الضخ على عوامل عديدة منها حجم الخط الذي يجري الزيت عبره ، وتفاوت الارتفاع والمسافة بين الغاية والمصدر .

لقد ظهرت خطوط الأنابيب كوسيلة من وسائل النقل الايجابية الفعالة ، فكان لها أثر كبير في تطوير صناعة الزيت وتقدمها . ولو تخيلنا أن صناعة الزيت لم تتوصل الى مثل هذه الوسيلة واستخدمنا سيارات صهريج — مثلا — لنقل الزيت بدلا من الأنابيب ، لكنا نحتاج الى مئات آلاف السيارات لنقل انتاج مثل انتاج المملكة العربية السعودية من الحقول الى معمل التكرير وفرضات الشحن .. وناهيك عن الازدحام الذي يحدث من جراء ذلك ■

عصام الحماد



تغلف الأنابيب التي تمد في المناطق المغمورة بطبقة سميكة من الاسمنت تستخدم ضمنها هذه الشبكات المعدنية . وفي المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية مصنع يقوم بهذا العمل هو مصنع القحطاني لتغليف الأنابيب ، الذي أسس عام ١٩٦٣ .

لقاء مع

الأمير مصطفى الشهابي *

اجراه الاستاذ ابو طالب زيان

يعد الأمير الأستاذ مصطفى الشهابي رئيس المجمع اللغوي بدمشق ، بقايا جيل ، أسس للثقافة ، ومكن للغة من أن تكون طليعة بين اللغات .

ولست الآن بصدد تعداد تآليفه وبحوثه الجمة ، ويكفي جهاده واجتهاده في وضع المصطلحات العلمية العديدة ، التي عمرت بها المكتبة العربية في جميع أرجاء العالم .

وقد رأيت أن أتناول معه الحديث عن بعض مشكلات اللغة : جمودا ، وصعوبة ، وما ينجم عن التعصب للمصطلح ، وما يمكن أن يؤديه توحيده من نفع عام ، في شتى المجالات ..



قلت له :

— أعتقد أن للعربية مشاكل ، كغيرها من اللغات . ولعل أهم هذه المشاكل وقوف المصطلحات العلمية في البلاد العربية جامدة .. كل لا يريد الاندماج في صاحبه أو نسيان نفسه كمصطلح ، حتى تنماح هذه الفوارق ، وتكون العربية صالحة للتعبير عن حاجات المدنية الحاضرة؟

• الواقع أن تعدد المصطلحات العربية للمعنى العلمي الواحد ، أصبح داء من أدواء لساننا ، بل داء يتفاقم شره . ويستشري بصفة خاصة ، كلما تقدم التعليم . وتقدمت الثقافة في البلاد العربية ، وظهر أساتيذ يتوافرون على وضع المصطلحات العربية ، أو يقتبسونها ثم يمضون في التعصب لها .

وليس من شك في أن توحيد هذه المصلحات لا يتم ، كما يفهم الكثير ، أو يكتب الكاتبون ، بعقد المؤتمرات وابداء التمنيات ، أو وضع قوائم لمصطلحات مختلفة ، أو صنع معجمات من لدن هيئة ، أو من قبل مؤتمر لمحامين أو أدباء أو أطباء ، أو من ناحية أفراد ، على اختلاف صلاح الجميع لوضع المصطلح أو تحقيقه . فالرسالة أسمى من ذلك ، وأجل من أن يتطلع اليها فرد أو طائفة ، أو ينظر اليها جماعة أو نفر أو هيئة من الهيئات اذ يجب النظر الى هذا التوحيد ، على أنه عمل قومي كبير ، يهم البلاد العربية كلها ، ويستوعب الكثير من الجهد والوقت والمال . وان كنت قد قدرت لهذا العمل منذ ثلاث عشرة سنة ، مبلغا يقل عن المائة ألف جنيه ، وحسبت الزمن الذي يستوعبه بستين شهرا ، غير أني اليوم ، قد غيرت تقديري لتكلفته ، ومحوت الرقم الحسابي لزمانه ، حتى كان ضعف ما قدرت ان لم يزدفي النفقة ، ويستطيل بالحساب على الستين.

وقد استوقفتني هذه الاجابة ، ولفتت نظري الى هذا السؤال :

— ما معنى توحيد المصلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة في لغتنا العربية ؟

• معنى هذا أن يكون في كل الأقطار العربية ، معجم أعجمي عربي (أي معجم فرنسي عربي ، ومعجم انكليزي عربي على الأقل) لتلك المصطلحات تعرف فيه الألفاظ بالعربية تعريفا علميا مختصرا دقيقا ، يناسب حجم المعجم ، ومعناه كذلك ، أن يشتمل المعجم على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها ، على أن تأخذ الحكومات العربية نفسها باستعمال ألفاظه ، دون غيرها ، في وزاراتها ، ودوائرها ، وجامعاتها ، ومدارسها .

ولقد يتضح من هذا ، ان لم يبن ويبدو جليا ، أن تصنيف المعجم يحتاج قبل كل شيء الى أداة تميز المصطلحات بعضها من بعض ، وترجح بعضها على بعض ، وتستقر على الأصح والأصلح ، وتمضي على طريق واحدة . وليس من شك في أن هذه الاداة في نظري ، ليست سوى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وان كان لا يقوى على هذا العمل وحده ، أو ينهض بهذا العبء دون تآزر أو مساندة من جامعة الدول العربية ، والعلماء والأدباء العرب الذين عرفوا بوضع المصطلحات العربية أو تحقيقها ، كل في دائرة اختصاصه وحدود ثقافته .

ونظرة عجلى الى سنين تزيد على الثلاث عشرة تريك انني قد سجلت طريقة العمل في تصنيف المعجم ، ووضعت يد المشتغلين بهذه الناحية والذين يريدون الخير للغة ، على الطريقة المثلى والحل الصحيح ، وما زلت أراها ويراها كثيرون غيري الطريقة العلمية الناجعة :

١ — تؤلف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة تسمى : « لجنة معجم المصلحات العلمية » يكون لها شخصية اعتبارية ، واستقلال مالي واداري.

٢ — يخصص مجلس جامعة الدول العربية المال الذي يقدر لتصنيف المعجم ، ويأذن للجنة

---

* فيما كنا نعد هذا المقال للنشر نعت دور الصحافة العربية بأسى بالغ العلامة الكبير ، والبحاثة القدير ، الأمير مصطفى الشهابي الذي كان رئيسا للمجمع العلمي في دمشق . لقد قضى الشهابي سني حياته الطوال في خدمة الأدب واللغة ، فأثرى المكتبة العربية برصيد وافر من مؤلفاته الجليلة القيمة التي غدت وستظل مرجعا حيا لأولي البحث والتحقيق .

المذكورة في المجمع بأن تتصرف في انفاقه ، بمراقبة رئيس الجامعة ورئيس المجمع .

٣ — تتصل اللجنة بالاختصاصيين بالمصطلحات في الأقطار العربية ، وتطلب منهم وضع معجمات أو قوائم أعجمية عربية ، ضمن اختصاصهم لقاء مكافآت مجزية .

٤ — تصنع اللجنة من هذه المعجمات والقوائم « معجم المصطلحات العلمية » ، وتعرضه على مجلس مجمع اللغة العربية ، فيقرأ ألفاظه ويناقشها في حضرة واضعيها من اختصاصيي الأقطار العربية ، لقاء مكافآت مجزية .

٥ — يطبع مجمع القاهرة المعجم ، ويوزع نسخه على دول الأقطار العربية ، وهي تبيع نسخه هذه في بلادها بأثمان بخسة .

٦ — تبقى لجنة المعجم قائمة على عملها في مجمع القاهرة ، لأضافة ما يجدّ من المصطلحات ، واعادة طبع المعجم وتوزيعه على البلاد العربية .

— ولكن هل أخذ بهذه المقترحات ، أو نظر الى هذه التوصيات ؟

٥ أعتقد أننا الآن بعد مضي هذه السنين تشاركني ترديد هذا البيت الذي جال بخاطري ، فرددته عندما تقدمت بهذه المقترحات :

منىً أن تكن حقا تكن أحسن المنى
والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

ولا أحب أن أشرك أحدا في ترتيل البيت التالي ، فقد كنت وحدي الذي أتعلل به :

أكذب النفس اذا حدثتها
ان صدق النفس يزري بالأمل

ولكي يكون قراء العربية وبحاثها على بينة من الأمر ، أذكر هنا ، أنه قد عقد في الجزائر عام ١٩٦٤ ، مؤتمر سمي « مؤتمر توحيد المصطلحات العلمية » ، واتخذت توصيات كثيرة ، كان في مقدمتها : توحيد المصطلحات العلمية في اللغة العربية على جميع المستويات التعليمية ، والاسراع في توحيد مصطلحات الكتب المدرسية في الأقطار العربية ، وغير ذلك من توصيات كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة قد اتخذ فيها قرارات .. ولكن هل نهضت من سباتها ، وقامت من مرقدها؟

على أنه لا يفوتني في هذا المقام ، أن أذكر أن مجلس البحث العلمي أراد أن يثبت وجوده ، ويؤدي خدمة ، فقام خلال خمس سنوات بتنفيذ تأليف قاموس علمي عربي ، يضم أكثر من مائة ألف مصطلح ، وكوّن بالفعل لجنة عليا تضم ٣٣ عالما مصريا ، من بينهم ١٥ من أعضاء المجمع اللغوي وخبرائه العلميين .

غير أني أكرر ما قلته : وهو أن هذه المصطلحات العربية ، لن تكون أصح المصطلحات أو أرجحها ، وان يكن أعضاء اللجنة يزيد على ٣٣ عضوا ، طبقا لتوصيات المؤتمر العلمي العربي الذي عقد أخيرا ببغداد .

وليس من شك في أن أرجح الطرق لتوحيد المصطلحات العربية انما يكون في معجم فرنسي — عربي ، ومعجم انجليزي — عربي ، يمكن أن يعول على مصطلحاتهما المتفق عليها ، ويمكن كذلك أن تنطلق تلك المصطلحات ، وتنتشر في يسر وسهولة في جميع البلاد العربية .

ولما كان البحاثة الأمير مصطفى الشهابي ، يعنى العناية كلها باللغة العربية ، ويبغي سيادتها ، فقد آثرت الحديث معه في مجالات اللغة ، وما يمكن أن تؤديه على أعلى المستويات .. قلت له :

— هل هناك من الوسائل ما يجعل اللغة العربية صالحة في يسر للتعليم الجامعي ؟

فأجاب :

تتعصب الشعوب العربية للغتها ، قوميا ودينيا ، بل وتسعى الدول العربية المستقلة الى جعل هذه اللغة صالحة لجميع مراحل التدريس في المدارس الحكومية . وان كان من المؤكد انها اليوم تتسع لجميع العلوم التي تدرس في التعليم الثانوي ، وفي دور المعلمين الابتدائية ، وفي المدارس الزراعية والصناعية والتجارية المتوسطة .

أما العلوم التي تدرس في الجامعات ، فبعضها يمكن تدريسه بالعربية دون كبير عناء ، كالعلوم القانونية على أنواعها ، وكالرياضيات ، والفلسفة ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والفلك . وبعضها يكون في تدريس مطولاتها بالعربية صعوبة يلاقيها الأساتيذ ، كعلوم الطب ، والهندسة ، والكيمياء ، وعلم الحياة ، وعلم الأنسجة ، وغيرها .

ولقد نتج عن هذه الصعوبة ، أن الطب والهندسة يدرسان الآن بالانجليزية في جامعات القاهرة وبغداد . أما الجامعة السورية في دمشق فهي تدرس العلوم بالعربية في جميع كلياتها ، وهي كليات : الطب ، والصيدلة ، وطب الأسنان ، والهندسة ، والعلوم ، والآداب ، والحقوق ، ودار المعلمين العليا .

ولا ينكر أحد مدى الخدمات التي أداها الأساتيذ للعربية ، ولا هذا العمل المجدي الذي شغل به هؤلاء العلماء ، متمثلا في ايجاد مصطلحات علمية عديدة ، وتأليف مؤلفات عربية مفيدة في الدروس التي يلقونها على الطلاب .

على أنه لا يصح أن يغيب عنا ، أو يندّ من حياتنا العلمية ، أن هناك مصطلحات علمية عديدة ، لم نجد من يصوغها ، أو يبحثها ويضعها على هذا الصعيد العلمي ، فظلت دون مقابل عربي لها ، مما اضطر معه الأساتيذ الى طرق باب التعريب ، أي استعمال الألفاظ ، كما وردت بالفرنسية بعد وضعها في قالب عربي . كما أن الكتب التي ألفوها قليلة لا تسمح لخريج الجامعة بأن يوسع معلوماته في بعض العلوم .

ويمكن بالتتبع بعد هذه الملاحظات ، أن نلمس للمفكرين العرب ثلاثة آراء في لغة التعليم العالي :

أولا : يرى جماعة من العلماء أن يكون التعليم العالي كله باللغة الأجنبية ، متناسية الضرر الذي يلحق باللغة العربية على مدى الأزمان ، ومستقبل السنين والأعوام .

ثانيا : يرى الكثير في مصر والعراق ، أن يدرس بعض العلوم باللغة الأجنبية ، وبعضها الآخر باللغة العربية ، وهو رأي وسط لا يهبط باللغة ، ولا يرتفع بمكانتها .

ثالثا : رأى جماعة من العلماء ، أن العربية يجب أن تكون لغة التدريس في جميع العلوم العالية ، وهذا ما عليه الحال الآن في سورية ، الا أن هذا يحتاج الى مساندة أو تدعيم لكي يكون ناجحا ، فهو في حاجة الى :

١ — اتقان تدريس لغة أجنبية حية كالفرنسية ، أو الانجليزية مثلا — في المدارس الثانوية .
٢ — تدرس تلك اللغة في كليات الجامعة أيضا .
٣ — جلب أساتذة أجانب يلقون دروسا ومحاضرات عملية (لا نظرية) باللغة الأجنبية .
٤ — ذكر الألفاظ العلمية في أثناء التدريس بالعربية ، لأن هذه الألفاظ مشتركة بين اللغات الحية .

وأعتقد أنه بهذه الوسائل الأربع أو هذه التكافلات ، يستطيع الطالب الذي يدرس الدروس بالعربية في كليات الجامعة ، أن يوسع بعدئذ معلوماته ، ويختص في معاهد الاختصاص بالديار الغربية .

على أننا نحن العرب لا نستطيع التخلي عن لغتنا ، ولا عن تراثنا العلمي والأدبي الكبير . ونحن جادون اليوم لجعل لغتنا صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة ، فنتمكن بذلك من التوفيق بين ثقافتنا العربية والثقافة الغربية ..

وأنا موقن بأننا سنبلغ باذن الله ما نريد ■

التعلم أثناء النوم

هل يصبح حقيقة علمية



يبدو التعلم أثناء النوم أمرا يتطلع اليه كثيرون منا لحل مشاكل أساليب التعلم الأكاديمي ، فالتلميذ الغارق في بحر من الدروس والواجبات ، والمدخن الذي أعيته رغبته في الامتناع عن التدخين دون جدوى ، وربة البيت التي أعياها تعلم الفرنسية أو الانجليزية ، تواقون لأن تحدث المعجزة فيتعلمون ما يشاؤون ، هكذا ببساطة زائدة ، ودونما تعب أو ارهاق .

ولعل مؤيدي نظرية قابلية التعلم أثناء النوم ، يلمحون الى امكان تحقيقها .. ولكن بدون وعود قاطعة ، فهذه النظرية لا يدعمها حتى الآن الا بعض التجارب المبتورة والقصص التي لا تستند الى حقائق ثابتة . وربما كان أكثر هذه القصص رواجا في الولايات المتحدة الأمريكية تلك التي عرضها على شاشة التلفزيون الأمريكي « آرت لنكلتر » والتي يقول عنها « ديفيد كيرتس » في كتابه « نم وتعلم » : « انها أفضل مثل على تيقظ العقل الباطن أثناء النوم » . فقد عرض « لنكلتر » تجربة في نطاق هذه النظرية حاول فيها تعلم اللغة الصينية « المندرينية » ، وهي أكثر لغات العالم صعوبة وتعقيدا ، أثناء النوم . وبعد ليال عشر فقط ، على حد زعم « كيرتس » ، استطاع « لنكلتر » أن يتحدث بهذه اللغة مع مساعد القنصل الصيني ، وكان ذلك على شاشة التلفزيون كما أسلفنا .

وعلى الرغم من تتبع العلماء لهذا الأمر ، وتكريس جهودهم نحوه ، فانهم يبدون أقل حماسا من غيرهم لفكرة التعلم أثناء النوم كطريقة لحل مشكلات أساليب التعلم التقليدية وتذليل مصاعبها ، بل ان بعضهم لا يؤيد اطلاقا هذه النظرية .

كان من السائد أن النوم هو عملية خمول نفسية تتخللها أحيانا أحلام عرضية ، ولكنه في الأغلب حالة استراحة عقلية وعضلية . وبدلا من اعتبار النوم حالة لا وعي عقلي ، يرجح اعتباره حالة تحفز للعقل الباطن . ولا يمكن اعتبار كل حلم وسواسا مزعجا ، فنحن عرضة للأحلام كل ليلة ، ففيها راحة للجسد ومتنفس للعقل مما يمر به من أحداث مزدحمة خلال اليقظة . ولا يمكن أن يكون النائم في انفصال تام عن العالم الخارجي ، ففي احدى التجارب التي أجريت في هذا المضمار ، عمد الى رش رذاذ خفيف من الماء على وجه شخص نائم ، وعندما استيقظ قال أنه حلم بأنه تعرض لمطر غزير . وكثيرا ما يحلم أحدنا أنه يسمع صوتا يرتفع شيئا فشيئا حتى يصل الى درجة من الارتفاع يستيقظ عندها ليجد أن الصوت الذي أزعجه انما هو صوت دقات المنبّه المركون الى جانبه .

وهكذا فان نظرية التعلم أثناء النوم تقوم على أساس أن عقل الشخص النائم يكون على درجة من التيقظ والنشاط تجعله يحس بالدوافع الخارجية ويتأثر بها .

وفي الواقع يبدو التعلم أثناء النوم أمرا على درجة من البساطة . فلو وضعت سماعة قرب وسادة النائم ليعاد من خلالها مرات عديدة مادة تم تسجيلها مسبقا ، فانه من المفروض نظريا أن يستوعب عقله شيئا من تلك المادة المسجلة دون شعور بذلك . ويدعي مؤيدو هذا اللون من التعليم بأنه ملائم لتعليم المواضيع الأكاديمية ، وأنه فعال لتثبيت الاقتراحات التي تستهدف التأثير على المسالك التعليمي للنائم . بيد أن كل ذلك لا يتعدى عن كونه مجرد نظريات وفروض ، لم يعرف بعد على وجه التدقيق مدى امكان تحققها .

وعلى الرغم من أن هذا الموضوع أخذ يجذب اهتمام الجماهير بصورة كبيرة ، فان التجارب التي أجريت بصدده ما زالت محدودة . ولعل أضخم هذه التجارب تلك التي أجريت في الاتحاد السوفيتي منذ حوالي عامين . حين عمد الى تعليم اللغة الانجليزية أثناء النوم لنحو ألف شخص من المقيمين في مركز « دبنا »



تعتبر الدورة التي يعقدها « جيوفري ستكر » في لندن نموذجا جيدا لدورات التعلم أثناء النوم ، وكما يبدو تتألف الأدوات المستخدمة في الدورة من مسجل عادي يتصل به جهاز توقيت أوتوماتيكي وسماعة . ويظهر هنا أحد التلاميذ يتلقى دروسا أثناء النوم .

يقوم عادة بعملية تسجيل الدروس على الأشرطة أستاذ خبير بالمادة المراد تعلمها

للأبحاث الذرية تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٥٠ سنة . وقد اختير هؤلاء لمقدرتهم العقلية العالية كعلماء متفرغين . وكانت الدروس تبدأ بموسيقى خفيفة بغية هدهدتهم قبيل النوم تليها مواضيع تستغرق بين ١٥ و ٣٠ دقيقة تذاع مرات عديدة قبل أن يغطوا في نوم عميق . ولأحراز نتائج أفضل ، كان التسجيل يعاد عليهم مرات ومرات في الصباح الباكر قبيل استيقاظهم .

والملاحظ على هذه التجربة أنها لم تتبع أساليب جديدة خارقة ، ولكنها تمتاز بأنها أول تجربة تجري على نطاق واسع ، ومع ذلك فان نتائجها لم تذع اطلاقا . وحتى لو افترضنا انها كانت ناجحة فانها لم تجب عن الكثير من التساؤلات التي تثار حول التعلم أثناء النوم ، اذ انها تركزت على عامل الوقت ، فاختارت الفترات التي يكون فيها المرء غير مستغرق تماما في نومه ، وهي تلتقي مع التجارب الأمريكية في هذه الناحية . كما أثبتت ان الشخص المستغرق في نوم ثقيل لا يقوى على التقاط المعلومات . وقد أجرى الدكتور « تشارلز سايمون » . الذي كان يعمل لدى مؤسسة « راند » في ولاية كاليفورنيا ، سلسلة معينة من الاختبارات في هذا المجال أسفرت عن أن مقدرة النائم على استيعاب المعلومات تقل تدريجيا كلما استغرق في النوم الى أن تتلاشى عندما يصل الى مرحلة النوم العميق . وقد اختار الدكتور « سايمون » أشخاصا على درجة كبيرة من الذكاء ودروسا على غاية كبيرة من البساطة أثناء تجاربه .

ويتوافق علماء النفس على أن المرء قد يمكنه الاستفادة نوعا ما من التعلم في فترات ما قبل النوم العميق . ولكن استعمال هذه الطريقة للتعلم لا يخلو من اضرار جانبية . فقد جاء في تقرير أوردته نشرة « كونسيومرز بوليتن » سنة ١٩٦٠ حول نظرية التعلم أثناء النوم ، أنه « استنادا الى المعلومات المتيسرة حيال هذه الفكرة ، لا يحبذ استخدامها كطريقة عملية وفعالة لكسب المعرفة . » وعلل التقرير ذلك بأنه « على الرغم من امكان التعلم أثناء النوم الخفيف ، أو في فترة ما قبل النوم العميق ، فان القوى العقلية في مثل هذه الأوقات تكون على درجة متدنية من التيقظ . يصعب على التلميذ معها الفهم والاستيعاب والاستنتاج ازاء ما يسمعه . ومهما يكن مقدار التعلم الذي يمكن للمرء اكتسابه بهذه الطريقة فانه ولا شك قليل الأهمية . » وأنهت النشرة تقريرها بأن « ازدواج استعمال الوقت للراحة والتعلم في آن واحد لا يستحق جهود الظامئين الى المعرفة ، وأنه يمكن لهؤلاء تحقيق هذين الهدفين ، كل على حدة وبطريقة أفضل ، وذلك بتنظيم الوقت بحيث يشمل فترات للتعلم الواعي المركز ، وفترات للراحة والنوم الهادىء . »

وردا على الادعاءات القائلة بأن التعلم أثناء النوم يقوي الثقة بالنفس ، ويساعد على التغلب على الارهاق العصبي والجسدي أثناء التعلم الواعي ، وعلى الاقلاع عن بعض العادات السيئة ، يقول الدكتور « سايمون » : « ان المتعلمين الذين ينشدون حلا لمثل هذه المشكلات ، ينصحون باللجوء الى العون النفساني أو الفني بطريقة أو أخرى . وقد ثبت أن علاج بعض أمراض الأطفال النفسية بالموسيقى المسجلة كان في كثير من الحالات كفيلا بالقضاء على أعراض المرض فقط ، ولكنه كان في حالات أخرى يضر الأطفال أكثر مما ينفعهم . »

ويجمع علماء النفس على أن تغيير بعض العادات السيئة لدى الأطفال بواسطة النـــوم المغناطيسي أو التعلم أثناء النوم قد يزيد في تعقيد الأمور ، وربما ينجم عن ذلك عادات سيئة اضافية عند بعضهم . ويقول النفسانيون بهذا الصدد « ان الطريق الأفضل للعلاج هو البحث عن أسباب العادات السيئة المراد استئصالها ، ومعالجتها تبعا لتلك الأسباب » . كما يحذر معظمهم من محاولة تغيير تصرفات بعض الأفراد وعاداتهم دون اشراف أخصائيين .

وكثيرا ما يستشهد مؤيدو نظرية التعلم أثناء النوم ، بالجملة التي نرددها في حال عجزنا عن حل معضلة ما : « سأنام على هذه المشكلة ، فالصباح رباح » . ويقولون أن كثيرين ينامون بعد عجزهم عن الحل حتى اذا أصبحوا وجدوه جاهزا لديهم ، ويقال أن « توماس أديسون » كان من هذا القبيل .

ولكن هل يعتبر هذا ضربا من ضروب التعلم أثناء النوم ؟.. علما بأن العقل في حالة كهذه لا يتلقى معلومات جديدة ، بل يعمل بمقتضى المعلومات التي تكونت لديه عن المشكلة المبيتة .

ومن أشد المناقشات التي أثيرت حول امكان التعلم أثناء النوم تلك التي أثارتها النتائج المروعة التي خرج بها الدكتور « وايلدر بنفيلد » ، من معهد « مونتريـــال » للأمراض العصبية ، والتي اكتشف بها أثناء اجرائه بعض عمليات الدماغ الجراحية انه بلمس أجزاء معينة من الدماغ بتيار كهربائي ضعيف جدا استطاع بعض المرضى استرجاع معلومات ومحفوظات كانوا يعتقدون انها أصبحت في عداد النسيان ، اذ لم تخطر على بال أحد منهم منذ سنوات طويلة . وتوضح هذه النتائج ان أدمغتنا تختزن المعلومات كآلات التسجيل ، ونحن اذا لم نستطع أن نتذكر شيئا ما من هذه المعلومات في وقت من الأوقات ، فاننا نستطيع استرجاعه في وقت آخر بتأثير دافع أقوى . ولسوء الحظ لا يوجد هنالك دليل على أن الذاكرة تسجل بعض ما قد يتعرض له الشخص النائم من أصوات أو مؤثرات ، وحتى لو ثبت أن الذاكرة تسجل مثل هذه الأصوات والمؤثرات فانها ستكون عديمة الفائدة ما دامت غير قابلة للاسترجاع والتذكر عند الحاجة اليها .

وأخيرا يجب أن نلمع الى أن البحث العلمي لم يأت بعد على دراسة الذاكرة والتعلم دراسة علمية وافية ، وان التعلم أثناء النوم أمر لا يزال محاطا بهالة من الغموض على الرغم من أنه يمكن أن يفيد بعض ممارسيه فائدة محدودة . بطريقة أو أخرى ■

ح . ح .

باذن خاص عن « ساينس دايجست »

الأديبة بين الإفصاح والكتمان

بقلم السيدة جميلة العلايلي

قبل أن أتسلل الى أعماق الأديبة لأرى ان كان تفكيرها انعكاسا صادقا لخواطرها الخفية ، ومشاعرها تنفيسا عن انتفاضات أحاسيسها الكمينة ، يتحتم أن أبرز سمات الافصاح والكتمان ، وهل ينفصل أحدهما عن الآخر ، أو أنهما يرتبطان ارتباطا يكاد يكون تمازجا كليا فلا يمكن الفصل بينهما .

ودون جهد سندرك أن الكتمان نواة الافصاح ، وأصله عند الأديبة . وهو يظل كمينا في أعماقها ، خاضعا لمؤثرات خاصة قد تحوله فيما بعد الى افصاح ، أو يظل محتبسا الى حين ، أو الى الأبد . وكم وكم هناك من مشاعر حبست وبقيت في طي الغيب الى الأبد لأن صاحباتها آثرن كتمانها في قرارات الصدور .

وتقرير معيار الافصاح أو الكتمان يقتضينا أن نعرف العلاقة بين الأديبة كأنثى وبين أدبها ، وأيهما يسيطر على الآخر ، اذ المفروض في الأدب أن يلتزم بما يساعد على ظهوره في المظهر اللائق به من حيث الصدق والأصالة ودقة التصوير ، كما تلتزم المرأة بما يحفظ لها جمالها وفضيلتها وخصائص أنوثتها ، وذلك يتطلب منها الحرص على التمسك بما يظهر ذلك في أبهى صوره دون أن تتخلى عن طبيعتها المتوجة بالحياء .

والأديبة ليست مجرد أنثى وحسب ، ولكنها تجمع بين قلب المرأة النابض ، وعقل الرجل النابه . وبقدر ضبط التقارب بين العاطفة والفكر يكون حظها من النجاح في أدبها . وهي حينما تكتب بعواطف الأنثى ، تكون خاضعة لعوامل أخرى بعضها نابع من نفسها ، كالحياء الذي لا يتخلى عنها الا اذا عصفت به أحداث أقوى منه .

والمرأة حينما تكتب بتفكير الرجل تلتزم الدقة والعمق كأنها تقمصت عقله ، فاذا استطاعت أن تجمع بين هاتين الطبيعتين كان أدبها نموذجا لأدب الأديبة ، بلا مراء .

والأديبة تظل أسيرة الكتمان حتى تتاح لها فرصة الافصاح ، ولعلها لا تتاح لأمر خارج عن ارادتها ، أو لعلها تتمسك بالكتمان بتأثير من حيائها ، الذي هو الأصل فيها ، ومن أقوى المؤثرات عليها . فاذا تحررت منه وتخلّت عنه ، وباتت سافرة المشاعر ، وأحس القارىء بأنه لا يفصل بينه وبينها أي فاصل ، ارتدّ عنها راغبا في البحث عن منهل آخر يتطلب منه السعي والمعاناة ، لأنه قد خلق بطبيعته باحثا ساعيا ، فاذا ألفى نفسه أمام أدب كالأدب الذي يقرأه للرجل ، افتقد ما يدفعه الى تذوق أدب المرأة ، وفي نفسه دهشة من الصراحة التي اتسم بها .

وقد تجنح الأديبة الى الكتمان لاعتقادها أن الرجل يغالط نفسه حين يزعم أنه يميل الى الافصاح مرضاة لنزعات تسللت الى عقله بتأثير اشعاعات التطور الحديث ، وهو يخطىء اذا فرض على الأديبة الافصاح ليتشح أدبها بوشاح الصدق ، لأن الافصاح وحده لا يكفي لانطلاق أنفاسها انطلاقا يشير الى أبعد آفاق تفكيرها وأعمق أغوار مشاعرها . اذ يتحتم أن يكون الافصاح مقترنا بخصائص طبيعتها مراعاة لحرمة تقاليد بيئتها ، فاذا استطاعت أن تربط بين ما يجب أن يكون وبين ما لا يجب ، تجمّعت لديها طاقة أدبية تنطلق انطلاقا واسع المدى في الأفق الأدبي الكبير ، وتحقق بذلك عملا أدبيا فذا .

والأديبات يختلفن من حيث دواعي الافصاح عندهن ، فقد يكون ذلك الافصاح غير مرتبط بالبيت أو بالأعراف السائدة وقد يكون منبثقا من صميم ارادتها متمشيا مع مواضعات الجماعة ، هذا اذا كان الافصاح خاصا بمشاعرها وأخيلتها وحياتها الخاصة وخواطرها وعلاقاتها مع الناس . فاذا كان الافصاح بعيدا عن هذا المجال ، فهو من مستلزمات الدقة في أبحاثها ودراساتها المتعلقة بالنقد والتحليل والتأريخ ، اذ المفروض فيها أن تكون صادقة عميقة منطقية صريحة الى أبعد حدّ تلبية لحاجة الدراسات الى التناول الموضوعي والعمق الفكري والحجة الدامغة مع التجرد من المجاملة التي تفسد الرأي والحجة .

والسؤال الذي يمر بذهن الناقد الراغب في استقراء مدى الافصاح أو الكتمان عند الأديبة هو : هل لا بدّ للأديبة أن تلتزم الافصاح المطلق أو الكتمان المطلق في ما تكتب ، وأيهما أجدى عليها ؟

فبعضهم يجيز الافصاح بل يحتّمه باعتباره صورة للأدب الواقعي ، وطابعا لأدب الانطلاق الذي يتمشى مع التجديد والتطور . وبعضهم لا يجيزه لأنه يتنافى مع حياء الأنثى ، الذي هو أبرز خصائصها التي ينبغي لها الحفاظ عليها أبدا .

على أن أدب الافصاح في الواقع خاضع لطبيعة السن ، فهي في الشباب المبكر ، أي في العشرين ، غيرها في الثلاثين أو الأربعين . وكلما تقدمت سنّها لبس أدبها طابعا جديدا يوافق طبيعتها ونزعاتها وميولها . فابنة الصبا الحالم تصور كل ما يعن لها ، وقد تصطدم بمواضعات بيئتها ، بينما المرأة الناضجة التي مارست تحكيم عقلها بجانب تفتح قلبها ، تلتزم الافصاح بقدر ، والكتمان بقدر ، دون أن تمس كرامتها أو كرامة المتصلين بها . ومن هنا يظل الافصاح مرتبطا بالكتمان ، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ، وان كان أحدهما يغلب الآخر في بعض الأحيان . وقد يجتمعان في توازن مثالي اذا استقام للأديبة الأمر ، وعرفت كيف تضبط عواطفها دون أن يعدو ذلك بالتشويه على منطق أدبها . فاذا جاء الافصاح افصاح استهتار أو عدم مبالاة ، كالذي نراه في كتب المذكرات والاعترافات ، كان ذلك أدبا لا يشرف صاحبته .

وكلما اقتربت الأديبة من المجتمع مالت الى الكتمان والحذر ، خشية أن تهتز صورتها في أذهان الناس أو يستهينوا بها ككاتبة تريد لأدبها أن يستقر على أقوم الأسس . ومع هذا فان لكل أديبة مذهبها ومجالها ، ولها مقاييسها الخاصة في الكتمان والافصاح ، ولهذا نرى أن طابع الأدب النسوي في فرنسا غيره في انجلترا أو أمريكا ، بل ان لكل أديبة في تلك الأقطار أسلوبها الذي تستقل به ، فلا يتفق مع أساليب زميلاتها الا في تصويره لبيئة واحدة والا في صدوره عن مقومات بيئية واحدة . فاذا حاولت الأديبة أن تتجاوز اقليمية الأدب ، وتنتج أدبا انسانيا مجردا ، فعندئذ تخلع رداء الحذر بعد أن تشعر بأن نواة الكتمان قد تمت واكتملت وازدهرت ، وهنا لا معدى للأديبة عن الافصاح عن الخلجات الانسانية ، وان كان هذا لا يعني بالضرورة ابتذال تلك الخلجات .

أما الأدب النسوي الشرقي ، فقلّ أن ينزع الى الافصاح المطلق ، ولم يظهر أثره في البلاد العربية الا في الدراسات والأبحاث والقصة والشعر أحيانا . وهناك قلة لفحت الحرية المطلقة مشاعرهن فجئن بأدب يكاد يجفو الأدب بكل صفاته لما ظهر فيه من آثار الانطلاق المطلق المقيت .

وليست الأديبة أدعى الى التحفظ والكتمان من الأديب ، فمع أن الأديب أكثر انطلاقا وتحررا ، وأكثر جرأة في ميادين الافصاح ، فانه حتى في ذلك حريص على كتمان خفايا حياته الخاصة ، أو عواطفه الكمينة بالقدر الذي يتطلبه الأدب الواقعي على الأقل . ونستطيع أن نتثبت من صحة ذلك من آثار الأدباء الذين لم تزل أنفاسهم ترف علينا عبقة من خلال انتاجهم ، رغم رحيلهم من هذه الدنيا .

فالرافعي الذي كتب لأدبه الخلود ، وقام على دراسته كثير من النقاد ليكشفوا خفايا قلبه وطوايا نفسه ، وفي مقدمة هؤلاء المرحوم الأستاذ سعيد العريان ، الذي حاول جهد المستطاع في كتابه عن الرافعي اثبات ما كان بينه وبين الأديبة المعروفة « مي » من مناجيات ارتفع فيها الى منطقة السموّ البشري ببيانه الذي تجلى في كتبه « أوراق الورد » و « رسائل الأحزان » و « الشفق الأحمر » .. ان الرافعي رغم سبحاته في هذه المناجيات والمطارحات لم يكشف عن كل انتفاضات نفسه ، كما استشعر بها وقتذاك . فهو قد أغفل كل ما يتنافى مع كبريائه وإباء نفسه حتى لا يثير الشفقة عليه والرثاء له . فهذه الكتب جميعا قد خلت من ألوان المراهقة أو الجنون ، بدافع من الكتمان الشديد ، الذي التزمه الرافعي .

والعقاد بدوره ، كان على جهارته في كتاباته ، كاتما أحاسيس نفسه بروح من الكبرياء المستعلية ، حتى حار النقاد في أمر « سارة » واختلفت التكهنات من حولها . فهذا الأديب العملاق الجريء الذي قطع أكبر شوط في مضمار الافصاح الأدبي في مختلف المناقشات والدراسات والمواقف ، هل أباح لقرائه أن يتسللوا الى عواطفه من خلال أدبه ليعرفوا كنه نفسه ؟ ان الكتب الجديدة تطالعنا كل يوم بأقلام خلصاء العقاد تكشف عن أشياء كان العقاد يكتمها ، ولا يبين عنها من حميم حياته وصميمها .

وغير الرافعي والعقاد كثير من الأدباء والشعراء تكشفت عواطفهم بعد رحيلهم في ما نشره عنهم الدارسون لأدبهم ، وان كانت هذه الدراسات رغم توافرها وكثرتها لم تستطع حتى الآن أن تضبط معيار الافصاح عند أبي شادي ، وناجي ، وزكي مبارك مثلا ، فرغم ما نشر مما ينمّ على خفايا جوانحهم ، فهناك أسرار خفية لا يعلمها غير المتصلين بهم اتصالا وثيقا .

وقد يكون حياء الأديبة شفيعا لتمسكها بالكتمان أحيانا تعزيزا لطبيعتها وصيانة لكرامتها الخاضعة لاعتبارات الجماعة . ولكن هل معنى هذا أن كل الأدب النسوي رياء وأن كل خصائصه زيف ؟ وكيف يستساغ أدب المرأة اذا كان مجردا من صدق الافصاح وشفافيته ؟! ان في الحياة ما يجهر به وما يكتم ، وأنا لا أدعو الى تجريد الأدب من الافصاح ، ولكنني أحبذ أن يكون الأدب انعكاسا لما تكتمه النفس في أغوارها ، فيظهر فيه الجانب الذي يرتفع بالنفس البشرية الى مراتب السمو ، ويغض الطرف عما يثير الاستهانة بالقيم .

وقد يكون هناك من يقول بضرورة الصدق في التصوير ، والأمانة في المصارحة ، فتكشف المرأة في أدبها عن خفايا نفسها ، ومطالب طبيعتها ، واتجاهات نزعاتها وميولها . ولكن الأديبة لم تزل ، وستظل كما أعتقد ، مرتبطة بدين يفرض عليها الكتمان لتكون بمنأى عن تقولات الألسنة . وأمامنا « مي » ، وعهدنا بها ليس ببعيد ، فقد تعلق بها الكثيرون اعجابا أو تدلّها ، ولا بد أن قلبها كان متجها الى ناحية من النواحي ، ومع ذلك ، فانها رغم جرأتها الأدبية لم تجاهر بما في مكنون قلبها أو تفصح عما في ذات نفسها فيما كتبت تلميحا أو تصريحا ، وهي التي ارتوت من ينبوع الأدب الفرنسي الحر .

ولكم في الحياة من مشاهد لا يشعر بها غير المرأة ، ولا حرج عليها لو صوّرتها دون تحفظ لتكشف ما وراء الباطل في كثير من نواحي الحياة بجانب تصوير عواطفها التي تمس أسرتها ، والذين حولها وبلادها . والافصاح في هذا المقام انما تقتضيه السليقة الانسانية ، وهنا يقترب تفكير المرأة من تفكير الرجل ، وعواطفها من عواطفه .

وكما قلت ، ان أدب المرأة يتمشى مع نمو تفكيرها وعمق مشاعرها ، وبقدر هذا النمو وذاك العمق ، يكون معيار ضبط نفسها والافصاح عن أرقى مشاعرها والتحكم في ارادتها لكتمان ما لا يجوز الكشف عنه .

ومتى أنضجت الأيام فكر الأديبة ، ورحبت نظرتها الى الحياة والناس ، وترامت أمامها أفلاك الفكر ، وتوازنت المعايير ، ونفذت الى الأعماق تاركة السطح بضحالته ، وعرفت أقدار القيم الانسانية الحقيقية ، وتمكنت من قدرة التمييز بين ما يصحّ وما لا يصحّ ، فهي عندئذ لا تهاب الافصاح ولا تتعمّد الكتمان ، لأنها تسلك في ذلك مسلكا وسطا ، فتفصح واثقة من مواقع خطواتها ، وتكتم عارفة بحدود حريتها ، وترى الدنيا وكأنها قد أصبحت من مسؤوليتها ، وكأن مشكلات الجماعة تبعة من تبعاتها ، فقد اكتملت لها الرؤية ، وتوافرت لها نظرة الشمول ، وحقّ لها أن تحمل أمانة القلم ■

الشيخ حافظ وهبة

من خلال آثاره

١٨٨٩ – ١٩٦٧

بقلم الاستاذ محمد عبد الغني حسن

لقد دخل المرحوم الشيخ حافظ وهبة – السفير السابق للمملكة العربية السعودية – ميدان المؤلفين الثقات من العرب بكتابيه الجليلين « جزيرة العرب في القرن العشرين » و « خمسون عاما في جزيرة العرب » . ولقد طبع الكتاب الأول خمس طبعات . وكان عنصر الصدق والصراحة والانصاف في الأحكام ، والتزام جانب الحيدة ، والنزاهة في التعليق على الأحداث ، والاعتدال في الثناء ، والرفق في النقد ، واللطف في التناول ، من العوامل التي جعلت لهذا الكتاب قبولا حسنا عند كثرة كاثرة من القراء العرب في كل مكان .

وليس عجبا أن يجتمع لمؤلف واحد كتابان في التاريخ لجزيرة العرب في نصف قرن . فقد اتصلت حياة حافظ وهبة بالجزيرة العربية وبتاريخها الحديث ، وبما تعاقب عليها من الأحداث في مدى خمسين عاما . وشارك الرجل – بحكم وظائفه ، وبحكم اتصاله الوثيق بالمغفور له الملك الراحل عبد العزيز آل سعود – في كثير من أحداث ذلك الزمن الطويل .

ولقد أحبّ الشيخ حافظ وهبة – وهو مصريّ المولد والنشأة والتعليم – جزيرة العرب حبّا خالط لحمه ودمه ، وقوله وفعله . ولا يسأل محب عن أسباب حبه لمن أحب أو لما أحب .. فقد يكون في السؤال اجتراء من السائل على قداسة الحب ، ولكن الشيخ نفسه يعلّل في أحد كتابيه أسباب حبه لجزيرة العرب ، وايثاره المقام فيها ، ومخالطة أهلها تلك الحقبة الطويلة من العمر ، ويلخصها في أنها المكان الذي ظهرت فيه رسالة الاسلام ، وبعث منه محمد عليه الصلاة والسلام ليحمل أكبر رسالة في تاريخ الديانات ، وأنها الأرض التي نزل فيها القرآن ، وتفجرت منها ينابيع الهدى الشريف ، ولأن في أهلها من صفاء العقيدة ، وسلامة الدين ، وتقديس العمل بالشريعة ما يطمئن قلب المسلم على الاتجاه اليها .

وكأنما كانت الأقدار في خلال الحرب العالمية الأولى تنسج خيوط اللقاء الشخصي بين جلالة الملك الراحل عبد العزيز وبين الشيخ حافظ وهبة . ففي سنة ١٩١٦ تمّ ذلك اللقاء على أرض الكويت في مناسبة من مناسبات المجاملات الانسانية الكريمة ، التي لم تفت الملك عبد العزيز يوما واحدا . وكان له ، رحمه الله ، فراسة في الرجال لا تخيب . فما ان وقع بصره على الشيخ حافظ ، واستمع الى حديثه الصريح المملوء بالاخلاص والصدق ، حتى وعاه في حافظته . وما كاد جلالته يتلقى من الشيخ رسالة من البحرين تحمل بعض الآراء ، حتى دعاه الى القدوم عليه بالرياض ، فقدمها بعد رحلة متعبة في الصحراء على ظهور الابل .

والحق أن فراسة الملك ابن سعود كانت في موضعها ، فقد منح ذلك الشيخ ثقته ، وبسط له من رحاب العمل والأمل ما جعل الشيخ يحرص في سلوكه دائما أن يكون أهلا لهذه الثقة .

وتقرأ في كتابي حافظ وهبة كثيرا من الحوادث والذكريات والوقائع والأوصاف ، فلا تشك لحظة في أن هذا المؤلف يمتاز بالصدق ، وتحسّ بتعاطف يجذبك نحو هذا المؤرخ الواعي الذي يعرف حقا كيف يدوّن التاريخ ، وخاصة لحقبة معاصرة مشتبكة الأحداث ، مختلفة العهود ، متباينة التيارات ، متعددة المؤتمرات والتعاهدات .

وتبدو قضية الصدق عند حافظ وهبة في روايته للحوادث والوقائع أولا ، وفي توكيده لضرورة الصدق للمؤرخ ثانيا . فهو يؤكد في أحد كتابيه أن رائده الأسمى خدمة التاريخ والحقيقة ، ايمانا منه بأن كل شيء سيفنى سوى الحقّ ، ويؤكد في كتابه الآخر أن رائده في كل ما يذكره هو تحرّي الصدق والحق ، وخدمة التاريخ لا خدمة الأشخاص .

والشيخ حافظ وهبة المؤرخ مدرك تمام الادراك لصعوبة رسالة المؤرخ الصحيح ، فهو يعترف في صراحة بأن تدوين التاريخ من أصعب الأشياء ، وليس هو من السهولة الى حدّ أنه مجرد أخبار تروى ، أو أحداث تدوّن . فالانسان قد يتأثر كثيرا بالمحيط ، وقد يكون عنده من أسباب الحب أو من دواعي السخط ما يجعل ذلك ذا أثر عظيم فيما يكتبه ، وكأنما كان الشيخ حافظ بهذا يشير من طرف خفي الى قول الشاعر :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

ومع ادراك الشيخ حافظ وهبة – المؤرخ – لخطر المقاربة والمعاصرة على القيمة الحق لتدوين التاريخ ، فانه استطاع أن يطمئن القارىء على سلامة منهجه في التأليف التاريخي ، بذلك الفيض من الوثائق والرسائل والمستندات التي تؤكد الوقائع وتسندها وتنفي عنها ما يريب . ولم يترك الشيخ حافظ تلك الوثائق تتحدث بنفسها في صلب الكتابين ، وانما وقف وقفة قصيرة في المقدمة ليبرز قيمة هذه الوثائق .

واذا كان صاحب كتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » قد اعتمد في تأليف كتابه هذا ، وكتابه الآخر ، على كثير من المراجع العربية والانجليزية والصحف والمجلات ، فانه لم يفته – وهو المؤرخ المتنقل الجوّاب – أن يعتمد على المعاينة والمشاهدة الذاتية في كثير من أوصافه للبلاد ، فهو يصف الأماكن التي يلمّ بها وصف



الخبير ، ولا يغمض عينيه عما استجدّ فيها من تطور ، أو طرأ عليها من نموّ ، ويعقد المقارنات بين سابق عهدها ولاحقه ، كما فعل حين تحدث عن الرياض قائلا « وقد زرت الرياض في ديسمبر ١٩٣٢ ، ويناير ١٩٣٥ بعد زيارتي لها سنة ١٩٢٤ ، فوجدت البلدة قد نمت نموا عظيما ، وكثرت مبانيها وعدد سكانها ، وقد تبع ذلك نمو حركة التجارة فيها .. »

ومن هنا تأتــي القيمة الجغرافية لكتاب « جزيرة العرب في القرن العشرين » ، فوق قيمته التاريخية لبلاد العرب في النصف الأول من قرننا هذا . فانه ليس كتابا في التاريخ السياسي لجزيرة العرب وحسب ، ولكن المؤلف قصد وراء ذلك أن يجعل منه كتابا في جغرافية الجزيرة العربية في العصر الحديث . وأبرز المؤلف هذا القصد في مقدمة الطبعة الأولى للكتاب . ولم يكتف بذلك بل جعل منه مجالا لدراسات ممتعة مفيدة فــي عادات سكان الجزيـرة العربية ، وطرق معايشهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأخلاقهم ، وحركة الاصلاح الديني التي قام بها المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولقد كان لقيام أسباب النهضة المختلفة في جزيرة العرب ملابسات دعت اليها وصاحبت قيامها ، ولم يضنّ الشيخ حافظ وهبة على التاريخ وعلى قرائه بذكر هذه الملابسات ، حتى يعرف قراء العرب اليوم وبعد اليوم الظروف التي لابست ظهور التطور والنهوض في البلاد . واذا كان الله قد ينعم بالبلوى بعض الحين ، فان نعمة انشاء أول ادارة طبية في الرياض تعود الى اصابة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود بقرحة في شفته ، ورمد في عينيه ، عجز عن ابرائهما طب الوصفات ، وأبرأهما الطب الحديث في أقصر زمان . ومن تلك اللحظة السعيدة تحوّل العلاج في البلاد من الوصفات الى العلاج الطبي على أحدث الطرق والأساليب .

واذا كان الشيخ حافظ وهبة قد امتاز بروحه التفاؤلية ، وتطلعاته السعيدة المشرقة الى غد العرب ، فمما لا شك فيه أن هذه النظرة قد انتقلت اليه من أثر الملك عبد العزيز آل سعود فيه . وتشيع هذه النظرة البيضاء في أكثر من موطن من كتابات الشيخ حافظ ، كما تشيع في أكثر من موضع من سلوكه . فهو يشيد بالروح العربية المنسابة في البلاد العربية ، ويتنبأ بمستقبل عظيم للعرب . وهو يؤمن ، في مواطن متفرقة من كتابيه ، بأن يوم العرب خير من أمسهم ، وغدهم سيكون خيرا من حاضرهم ، اذا سلكوا الطريق السوي ، وهم سالكوه باذن الله وتوفيقه . وهو يحمد الله الذي كتب له الحياة ليرى بعينيه التطور العظيم الذي حققه العرب والذي على ما به من حاجة الى المزيد — بحكم السنن العلمية — يعد خطوة مباركة تبشّر بمستقبل زاهر للشرق العربي كله .

ويعجبك من الشيخ حافظ وهبة ، رحمه الله ، في كلّ ما كتبه ، ذلك الأسلوب الذي يتميز بالدقة والوضوح والصحة والسلامة اللغوية . وقد بلغ من دقته ان الكلمة تنزل في مكانها على قدرها ، فلا تجد في الكلام لغوا أو حشوا . وبلغ من وضوحه أنك تجد العبارة مستوية ناصعة لا غموض فيها ولا ابهام . وبلغ من صحته أنه يجري على أكثر قواعد اللغة والنحو صحة وعلوا ، فلا يجنح في الاستعمال الى مذهب ضعيف مرجوح من مذاهب النحاة .

ويفسر لك أسلوب حافظ وهبة الواضح المشرق الدقيق سرّ نفوره القديم ، منذ أن كان طالبا ناشئا في الأزهر ، من الكتب الصفراء القديمة وحملته عليها . وهو يصارحك ، بل لا يخفي عليك أن هذه الكتب في تعقيدها تبعد القراء عن المنطق واللغة العربية .

ولقد وجد الشيخ حافظ وهبة فــي دراسته بالأزهر ، وفي تعلمه الباكر « بالكتاب » صورا من الحياة التعليمية الجامدة الضيقة التي بدّل الله منها البلاد صورا أكثر مرونة وأرحب آفاقا ... وقد استطاع أن يصوّر لنا « الكتّاب » ومعلم الكتّاب في صورة طريفة دقيقة ، مضحكة مبكية معا . وهو في هذا التصوير الرائع يشترك مع جماعة من أدبائنا ممّن صوّروا لنا الحياة التعليمية الأولى ، من أمثال الدكتور طه حسين ، وأحمد أمين ، وسلامة موسى ، ومحمد عبد الجواد . يقول الشيخ حافظ في وصفه للكتّاب ومعلّم الكتّاب : « كان الكتّاب سجنا لا مدرسة ، وسيدنا مخيف بعصاه وشدته ، فلا غرابة اذا كنا نتآمر أحيانا على الهرب من السجن ترويحا للنفس في حديقة من الحدائق العامة . وسيّدنا ، وان كان يحمل قلبا طيّبا ، الا أنه صارم وشديد ، يعاقب على أتفه الأشياء ، وعلى ما يظنه خطأ . يحبّ أن تهتزّ حين القراءة ، فان لم تهتزّ لتعب اعترى ظهرك ، عدّك سيّدنا كسلان ، ولسعك بالجريدة — يعني العصا من الجريد — فلا غرابة اذا كرهناه وتآمرنا عليه . ولا غرابة اذا دعونا الله أن يريحنا منه .. ولكن الله لم يسمع دعاءنا » !!

لقد تنقل حافظ وهبة بين الأزهر ومدرسة القضاء الشرعي ، ولم يجد في واحد من الاثنين ما يرضي طموحه نحو الاصلاح والتجديد وسعة العقل ، على الرغم ممّا كان في مدرسة القضاء من تجديد وتنظيم أدخلهما عليها ناظرها « عاطف بركات » بمساندة ومعاضدة من خاله « سعد زغلول » الذي كان في ذلك العهد وزيرا للمعارف . وترك حافظ وهبة مدرسة القضاء الشرعي قبل اتمام الدراسة فيها لينتقل جائلا في الأرض بين تركية ، والهند ، والكويت ، والبحرين ، والسعودية حيث ألقى بها عصا التسيار ، وقرّ بها عينا ، كما قرّ عينا بالاياب المسافر .

وضرب الشيخ الرحالة في ميادين الحياة بسهم ، بل بكل سهم .. فاشتغل في أول عهده بالهجرة الى تركية صحافيا في جريدة « الهلال العثماني » ، فمعلّما وواعظا بالكويت ، فتاجرا يشتري اللآلىء من الغوّاصين ويبيعها في أسواق الخليج العربي كله . ولقد كان ، رحمه الله ، في التجارة ، كما كان في كلّ شأن من شؤون حياته الرسمية والخاصة ، مثالا للمسلم الحق المترفع عن الدنايا . والحق أن اشتغاله بتجارة اللؤلؤ قد أكسبه تجارب جديدة مفيدة ، ووسع أمامه آفاق التعرّف الى شيوخ الخليج العربي وكبار تجاره .

لقد كانت دروس حافظ وهبة ، قبل دعوة الملك عبد العزيز آل سعود له ، تدور حول صلاح الراعي واصلاح الرعية .. وكأنه كان يجهد نفسه في البحث عن شيء مفقود ، وما هي الا أن وطأت له أرض المملكة العربية السعودية أكنافها ، حتى وجد فيها راعيا صالحا ، دفع رعيّته الى النهوض والاصلاح بخطى رزينة فساح ■

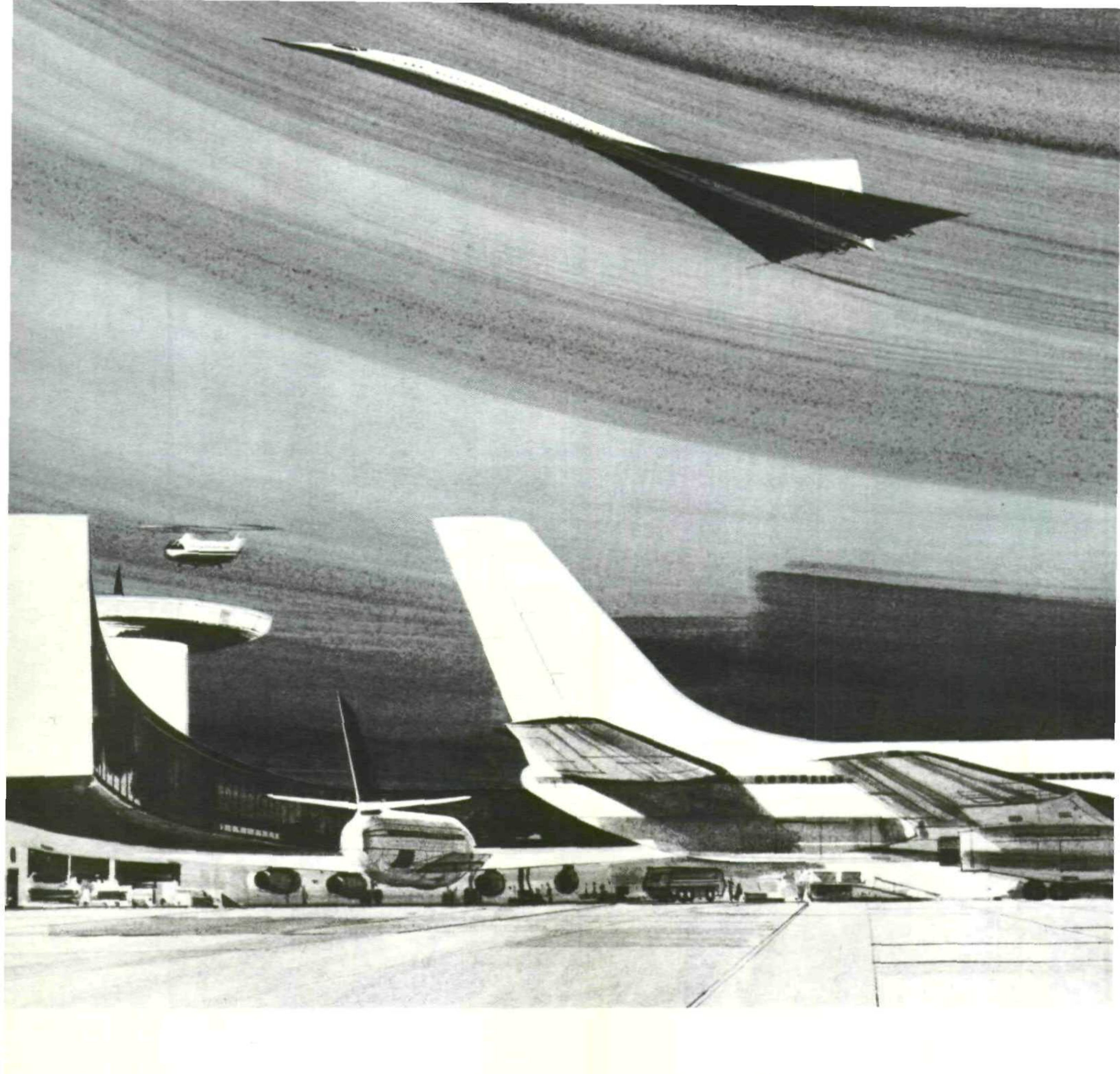
طائرات الغد
ومتطلباتها من الوقود



رسم نموذجي ، كما تخيله الفنان ، لأحد المطارات المزمع تصميمها لاستقبال طائرات الغد الضخمة التي تفوق الصوت في سرعتها .



كانت الطائرات تعبأ بالوقود قبل أربعين عاما بواسطة براميل تنقل على سيارات .



قبل خمسة وستين عاما ، قام الأخوان « رايــت » بأول محاولة تاريخية للطيران ، قطعا خلالها مسافة ٤٠ مترا ، واليوم تقوم شركة « بوينج » العالمية ببناء طائرة نفاثة جديدة من نوعها ، يبلغ طولها نحو ٩٥ مترا ، وسرعتها نحو ٢٩٠٠ كيلومتر في الساعة (ضعفي ونصف سرعة الصوت) .

وابان الفترة الواقعة بين هاتين المحاولتين ، قامت محاولات أخرى عديدة اشترك فيها عدد من الشركات العالمية المنتجة للطائرات ، أسفرت عن مولد ثلاثة أجيال مــن الطائرات هي : الطائرات ذوات المحركات العادية ، والطائرات النفاثة ، والطائرات النفاثة التي تفوق سرعتهـا سرعة الصوت .

وقد أدى هذا التطور السريع في حقل الطيران الى اضرام جذوة التنافس بين شركات البترول ومعامل التكرير العالمية ، على انتاج أفضل أنواع المحروقات الــتي تتلاءم ومواصفات الطائــرات التجارية الضخمة الــتي تفوق الصوت في سرعتها . ولعل أكثر ما يسترعي اهتمام شركات الزيت حاليا بالنسبة لهذا النوع من الطائرات ، هو سعة خزاناتها ، التي تقرر أن تكون ٥٥٩٣٠ جالونا ، ومعرفة مواصفات الوقود التي ستحتاج اليه ، والعمل على تأمينه بالسرعة المطلوبة .

لقد كانت عمليات تعبئة الطائرات بالوقود في عهدي الأخوين « رايت » و « ليندبرغ » خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٠٣ و ١٩٢٧ غاية في السهولة ، اذ لم تكن تتطلب أكثر من وضع قمع على فوهة خزان الطائرة وافراغ بضعة

براميل من الوقود فيها . أما اليوم ، وقد تعددت أنواع الطائرات في العالم ، فان الأمر يختلف كل الاختلاف . فكلما ازدادت الطائرات النفاثة حجما وعددا ، كلما واجهت شركات الزيت مشكلات جديدة ، كمشكلة انتاج كميات كافية من وقود الطربينات للطائرات النفاثة . فالكيروسين الذي يستخدمه هذا النوع من الطائرات يشكل ٦ في المائة فقط من اجمالي منتجات معامل التكرير . وهذه النسبة الصغيرة لا تفي بمواجهة الطلب المتزايد على وقود الطربينات . لذلك تتطلع معامل التكرير الى زيادة نسبة انتاج الكيروسين خلال عام ١٩٨٠ الى ١٦ في المائة من انتاجها الاجمالي .

ونتيجة لذلك فقد أخـذت شركات الزيت تتنافس عـلى توفير أفضل الخدمات لطائرات الغد ، فأصبحت تملك سيارات ذات صهاريج أكبر حجما ، مـزودة بأجهزة أحدث صنعا ، وأسرع ضخا .

وأخيرا ابتكرت احدى الشركات وسيلة ألكترونية للتحكم بأجهزة التعبئة الآلية الموجودة بالسيارات ، وكذلك بالخزانات والمضخات النائية ، وبجريان الوقود في خطوط الأنابيب المطمورة . فسيارة التعبئة الحديثة المزودة بمثل هذا الجهاز ، تستطيع وصل خرطومها بخط التعبئة وبفوهة خزانات الوقود تحت جناح الطائرة ، وتعبئتها بسرعة ٦٠٠ جالون في الدقيقة . ويقوم عادة بتعبئة الطائرات الضخمة من طراز (بوينج — ٧٠٧) و (دي سي — ٩) سيارتا صهريج معا .

ومن ميزات جهاز التعبئة الآلي الحديث ، أنه يساعد على انجاز عملية التعبئة بسرعة ، ويخفف من حـدة الازدحام على أرض المدرج . وتخفيف الازدحام عامل مهم بالنسبة لمستقبل الطيران ، لأن المطارات تسمح بهبوط عدد معين من الطائرات في الساعة . ومن بين المحاولات التي يجريها القائمون للتغلب على هذه المشكلة هو بناء المزيد من المطارات ، ولكنه حل يستغرق سنوات عديدة بـين التخطيط والتصميم والانشاء . فمع حلول عام ١٩٧٠ ، يتوقع أن يرتفع عدد المطارات التي تستطيع استقبال الطائرات النفاثة في الولايات المتحدة الأمريكية مثلا ، من ١٧٥ الى حوالي ٥٠٠ مطار . بالاضافة الى محاولات أخرى تنحصر في تصميم المطارات بشكل تجعلها أكثر قدرة على استيعاب ارتال السيارات .

ان لطائرة البوينج — ٧٤٧ التي تعتبر أكبر طائرة تجارية تم بناؤها حتى الآن ، خمسة أبواب من كل جانب ، وتتسع لـ ٤٩٠ راكبا ، وتطير بسرعة ١٠٠٠ كيلومتر في الساعة ، عبر مدى أقصاه ٩٦٠٠ كيلومتر . وهي ذات أربعة محركات نفاثة ، قوة دفعها ٤٣٥٠٠ رطل ، أي ما يعادل نحو ضعف قوة أكبر طائرة نفاثة معروفة . ويبلغ عرض صالة هذه الطائرة نحو ٧ أمتار ، ويشتمل كل صف فيها على عشرة مقاعد ، يفصل بينها ممران . أما طاقم الطائرة فله قاعة خاصة تعلو قاعة المسافرين . وسيكون لهـذه الطائرة ١٨ عجلة للهبوط يتوزع عليها وزن الطائرة البالغ نحو ٣٢٢ طنا . وقد بيع منها مقدمـا ١٢٠ طائرة . ويتوقع أن تكون هذه الطائرة أضخم ، بل آخر طائرة من الجيل الثاني للطائرات التجارية النفاثة .

أما الجيل الثالث من الطائرات ، وهي التي تفوق سرعتها سرعة الصوت ، فستكون الرائدة فيه طائرات « الكونكورد » التي يتوقع أن تبدأ الطيران في وقت لاحق من العام الحالي . وتستوعب طائرة الكونكورد هذه ، التي جاءت ثمرة جهود مشتركة قامت بها كل من بريطانيا وفرنسا ، ١٤٠ راكبا ، وهي تطير بسرعة ٢٣٢٠ كيلومترا في الساعة ، عبر مدى أقصاه ٦٤٠٠ كيلومتر . أما ثمنها فيقـدر بنحو ٧٢ مليون ريال

احدى الطائرات الضخمة التي تقوم شركة « بوينج » ببنائها حاليا . وستكون من أكبر الطائرات التجارية وأضخمها ، ويتوقع أن تبلغ سرعتها ٢٩٠٠ كيلومتر في الساعة (٢٫٥ مرة أكبر من سرعة الصوت) وسعة خزاناتها نحو ٥٥٠٠٠ جالون من الوقود .



طائرة نفاثة من طائرات المؤسسة العامة للخطوط الجوية العربية السعودية تتزود بالوقود اللازم لها في مطار الظهران الدولي ، وكانت شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) تقوم بتعبئة الطائرات بالوقود في المطارات الرئيسية في المملكة العربية السعودية ، أما الآن فتقوم بهذه المهمة مؤسسة البترول والمعادن السعودية (بترومين) .



الطائرة « بوينج – ٧٤٧ » ، كما تخيلها الرسام، هي أكبر طائرة تجارية تم تصميمها حتى الآن تتسع لـ ٤٩٠ راكبا وتستطيع الطيران عبر مسافة ٩٦٠٠ كيلومتر . وقد أوصى على شرائها عدد من شركات الطيران ، ويتوقع أن تباشر طيرانها في وقت قريب .

سعودي (١٦ مليون دولار) ، وقد تقدمت حتى الآن أكثر من ٦٠ شركة طيران بطلبات لصنع طائرات من هذا النوع لحسابها الخاص .

اما طائرة « بوينج » التي يجري انشاؤها حاليا ، والتي ستكون سرعتها نحو ٢٩٠٠ كيلومتر في الساعة ، ستطير على ارتفاع ٢٠ كيلومترا ، أي على ارتفاع ٩٥ في المائة من الغلاف الجوي للأرض ، حيث تنخفض الحرارة الى ٥٧ درجة مئوية تحت الصفر . ومع أن مثل هذه السرعة الكبيرة تولد احتكاكا يتعرض معه سطح الطائرة لحرارة تبلغ ٢٠٥ درجات مئوية ، الا أنه يمكن تبريده جزئيا باستخدام الوقود الذي تحمله الطائرة في خزاناتها ولمقاومة مثل هذه الحرارة العالية فقد تقرر بناء هيكل الطائرة الخارجي من سبيكة تحوي ٩٠ في المائة من معدن « تيتانيوم » ، الذي يمتاز بخفة وزنه وتحمله للحرارة . أما محركاتها الأربعة فسيكون موضعها في أسفل ذيلها ، وستحرق من الوقود ١٥٠٠٠ جالون في الساعة .

ان هذه الطائرات الضخمة المذهلة تتطلب ، ولا شك ، استعدادات كبيرة من قبل شركات الزيت لتأمين الوقود اللازم لها بالسرعة والدقة والكمية المطلوبة ، كما أنها تتطلب اجراء بعض التعديلات الضرورية على معدات التعبئة الآلية بحيث تتلاءم وهذه الطائرات الحديثة . ومع انه لم يعرف حتى الآن ما ستنطوي عليه التصاميم الحديثة لمرافق التعبئة النهائية ، الا انه يعتقد بأنه سيستعاض عن سيارات الصهريج بخطوط أنابيب مباشرة . ومن أجل ذلك ستضطر شركات الزيت الى بناء المزيد من الخزانات وخطوط التعبئة والمضخات الكبيرة ، لتتمكن من تأمين الوقود والمحروقات لهذه الطائرات الضخمة بالسرعة والكمية المناسبتين .

ويدرس المهندسون حاليا فكرة تطوير جهاز ألكتروني لضبط تعبئة هذه الطائرات من شأنه تحديد كمية الوقود الموجودة في الطائرة ، وكمية الوقود التي تحتاج اليها .

وهكذا فان متطلبات الطائرات من الوقود تنمو بصورة مطردة ، بحيث تصل الى أربعة أضعاف ما هي عليه الآن خلال الثلاث عشرة سنة القادمة ■

ع٠ع٠

باذن خاص

عن مجلة « ذي ستاندرد أويلر »

تشمل أجهزة التعبئة الآلية الحديثة جهازا ألكترونيا مركبا على سيارة استعيض به عن سيارات الصهريج . وهو يمتاز بانجازه عملية التعبئة بسرعة من تحت جناح الطائرة . أما الوقود فيأتي اليها عبر أنابيب ممتدة من ساحة الخزانات .



ظلّ المرأة في شعر المتنبّي

للدكتور ابو الوفا المراغي

المتنبي شاعر ملأ الدنيا وشغل التاريخ، وترك في الدنيا دويا لا يزال يرن في الآذان ، ويكاد الأدباء يجمعون على أنه شاعر العربية الأكبر ، لم ينسخه شاعر بعد . وكأن المتنبي كان يتوقع أن يتحقق قوله :

أنام ملء جفوني عن شواردها
ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

وقوله :

وما الدهر الا من رواة قصائدي
اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

الى ان يقول :

ودع كل صوت بعد صوتي فانني
أنا الطائر المحكيّ والآخر الصدى

وقد طرق المتنبي كثيرا من أبواب الشعر ، وقرض في مختلف فنونه على تفاوت في درجات الاحتفال والاحسان في هذه الأغراض ، بيد أن هناك ظاهرة في المتنبي وفي شعره لم يلتفت اليها كثير من الدارسين للمتنبي والباحثين في شعره ، تلك هي قلة احتفال المتنبي بالحديث عن المرأة ، وما يتعلق بها ، وما يجذب الرجال اليها من جمال الخلق والخلق ، ويوقعهم في شراك الحب والعشق والصبابة والهيام ، وما الى ذلك من المعاني التي أولع بها الشعراء ، واستنفدت قدرا من طاقاتهم الشعرية والوجدانية . وقد يكون في طموحه الذي امتد الى الخلافة حينا ، والى الولاية والملك حينا آخر ما يشغله عن الحديث في النساء . والذي جعل الخلافة والملك من آماله ، ومن همه ووكده ، قد يرى في الحديث عن النساء والتولّه بهنّ نزولا بقدره ، وتقصيرا به عن غايته . فالحديث عن النساء والشغف بهن شغل الفارغ المتبطل الضعيف الهمة الواهي العزيمة .. لعل ذلك هو الذي شغل المتنبي عن الحديث فيهن ، أولا ، ثم شغلته خيبة آماله وفشل مساعيه في كل ما تطلّع اليه من ملك أو ولاية ، ثانية .

والمتنبي الذي يقول :

يقولون لي ما أنت في كل بلدة
وما تبتغي ، ما أبتغي جلّ أن يسمى

والذي يقول للأسد، حين سمعها تزأر :

فهل لك في حلفي على ما أريده
فاني بأسباب المعيشة أعلم
اذا لأتاك الخير من كل وجهة
وأثريت مما تغنمين وأغنم

لا يحب أن يشغله شيء عمّا يتطلع اليه من المجد، فالذي يبتغيه المتنبي هو أجلّ من أن يسمى ويوصف ، والذي يدعو الأسد على أن تحالفه على بلوغه والظفر به لا يستقيم معه أن يلهو بالنساء ويعابثهن لئلا يعوقه ذلك عن مطلبه الأسمى الذي ملك عليه قلبه ولبّه ولسانه . واللهو بالنساء عبث ومجانة ، والسعي لمعالي الأمور وجلائل الأعمال جدّ جاد ، والعبث والجد خصمان يدفع أحدهما الآخر عن مكانه في النفس . ولم يكن المتنبي يكره العبث بالنساء فحسب ، بل كان يكره كل ما يتصل بهذا العبث من اللهو ، فقد كان يكره الخمر أشد الكراهية ، ويبغضها أشد البغض .

ومن يقرأ المتنبي يرى أنه كان ضعيف الصلة بالمرأة ، أعني صلة الحب والتولّه كدأب الشعراء الذين كانت لهم صلات أثارت طاقتهم العاطفية والشعرية ، وأطلقت ألسنتهم في الجوانب الوجدانية نحو المرأة في حرارة وصدق .

ان المتنبي قد عرض للحديث عن المرأة حديثا عابرا عن غير قصد ، أو عرض لهذا الحديث — مضطرا مكرها — من الناحيتين الحسية أو الجسمية ، والنفسية أو الخلقية . عرض لها من الناحية الحسية في نسيبه في مطالع قصائده ، جريا على سنن الشعراء في ابتداءاتهم ، واستمساكا بعمود الشعر ، كما هو الشائع بين الشعراء في عصره . وهو اذا عالج الحديث عن المرأة في نسيبه عالجه لا عن صدق حس ولا حرارة عاطفة ، فجاء حديثه عن ذلك صورا لا روح فيها ، وان راقت أحيانا بألفاظها وأساليبها ، وكأنه جاء به ليتّبع سنّة العصر وينتقل الى أغراضه المقصودة من المديح وغيره . نسب المتنبي بالمرأة في مطالعه ، فجعل همّه وصف محاسنها الخلقية والجسدية ، لا روحها ومعانيها الخلقية ، وما استحيا من ذكره كنّى عنه أحيانا كنايات تقرب من التصريح المستكره . ولعلّ أقبح ما قيل في الغزل قول المتنبي :

وتمسّت من الفؤاد بنعل
حرّ وجهي له مكان التراب

فجاء أكثر نسيبه متصنعا متكلفا ، تتزاحم فيه المطابقات والمبالغات ، وأعوزه التناسق بين الغريب والمأنوس والقريب والبعيد ، وكاد نسيب المتنبي يكون معرضا لبراعته اللغوية ، ومهارته في حفظ الغريب والعويص من اللغة . وحق النسيب كما قال صاحب العمدة : أن يكون حلو الألفاظ سهلها ، قريب المعاني سهلها ، غير كزّ ولا غامض ، وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى ، ليّن الايثار ، رطب المكسر ، شفّاف الجوهر ، يطرب الحزين ، ويستخفّ الرصين . وحسبنا أن نذكر نموذجا من نسيبه في مطالع قصائده . يقول :

لجنية أم غادة رفـع السجف
لوحشية لا ما لوحشية شنف
نفور عرتهـا نفرة فتجاذبـت
سوالفهـا والحلي والخصر والردف
هراقت دمي من بي من الوجد ما بها
من الوجد بي والشوق لي ولها حلف

ولسنا في حاجة الى التنبيه الى ما في هذا النموذج من غزل مصطنع متكلّف ، والى ما في ألفاظه من غرابة ، وما في معانيه من غموض واستبهام ، والى ما فيه من صراحة مستكرهة . وما ذاك الا لأن المتنبي لم يفعل بما قال ، بل قاله تأسّيا بطرائق الشعراء في عصره فحسب .

ويحاول بعض الكتاب أن يستنبط ، في اعتساف ، أن المتنبي ولع بالمرأة ، وأنه أحب وعشق وكتم حبه وعشقه ، وأنه أحب أخت سيف الدولة الكبرى ، يحاول أن يستنتج ذلك من قصيدته الى سيف الدولة في رثاء أخته ، ويجهد أن يلتقط اللمحة من هنا وهناك في هذا البيت أو ذاك ، ليقرر أن المتنبي قد أحب وتعلق بالنساء . وتلك محاولة غير سديدة وغير موفقة في نظرنا ، والاعتساف فيها واضح بيّن ، وجمهرة الدارسين للمتنبي على خلاف في هذا الرأي ، حتى أن واحدا من كبار الأدباء الذين عنوا بالمتنبي ، وعاشوا معه ، يرى أن الأعرابيات التي تغزل بها المتنبي ، انما هي رموز الى حياة البدو ، ولم يقصد الى حقائقها . وانّا لنرجح هذا الرأي ، ونرى أنه لو كان المتنبي قد شغلته المرأة حقا ، وخفق لها قلبه ، لما تأخر به الحب حتى تصرمت شبيبته وتولت صبوته وفتوته ، فهذه القصيدة التي أنشأها المتنبي لسيف الدولة في رثاء أخته انما أنشأها بعد أن بلغت سنه الخمسين . كما أنه لا يليق بمقام العزاء ومكان أخت سيف الدولة من سيف الدولة أن يبث في قصيدة العزاء لواعج الشوق ومرارة الحرمان .. ان تلك الفكرة بعيدة وجدّ بعيدة.

وسواء قلنا : ان غزليات المتنبي في مطالع قصائده كانت غزلا حقيقيا أو رموزا الى معان أخرى لا صلة لها بالحب ، فان المتنبي في تلك الغزليات لم يعالج في شئون المرأة الا صورها الحسية الجمالية ، أما طبائع المرأة وخلائقها وأعماق نفسها فلم يكن لها حظ من شعره . ولو كان المتنبي عني بها لأثرى الأدب العربي في هذه الناحية ، وأضاف الى قديم الشعراء في هذا الباب جديدا مفيدا ، فهو صاحب الحكمة والتجربة ، وذو المنطق والبيان الناصع والحس المرهف .

ولقد تصفحت ديوانه لأعرف نصيب المرأة من شعره في جوانبها النفسية فلم أعثر له في الديوان — على طوله — بعد غزليات المطالع الا على أبيات وقعت له عن غير قصد منه على ما أظن ، وهي قوله :

اذا غدرت حسناء وفّـت بعهدهـا
فمن عهدها ألا يدوم لهـا عهد
وان عشقت كانت أشدّ صبابـة
وان فركت فاذهب فما فِرْكُها قصد
وان حقدت لم يبق في قلبهـا رضىً
وان رضيت لم يبق في قلبها حقـد
كـذلك أخـلاق النساء وربمـا
يضل بها الهادي ويخفى بها الرشد

وقولـه :

ومـن خبر الغوانـي فالغوانـي
ضياء فـي بواطنـه ظـلام

تلك هي الأبيات التي وقفت عليها في الديوان مما عالج به المتنبي خلائق المرأة ، وذلك هو محصوله من دراسة نفسيتها وطبيعتها ، أو محصولها منه . وهو محصول ضئيل ومكرر قديم ، لا جديد فيه ، طرقه الشعراء من قبله وأكثروا فيه . وحسبنا شهادة المتنبي على نفسه بأن المرأة لم يكن لها مكان في قلبه ، اذ يقول :

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي
شيئا تُتَيّمـه عين ولا جيـد

وكان يرى أن العشق مرض يصيب الانسان اذا تعرّض لأسبابه وخير له أن يتجنب تلك الأسباب حتى لا يبتلي به ويقول :

ومـا العشق الا غـرة وطماعـة
يعرض قلـب نفسه فيصـاب
وغـير فؤادي للغوانـي رميّـة
وغـير بنـانـي للزّجـاج ركاب
تركنـا لأطراف القنا كل شهوة
فليس لنـا الا بهـن لعـاب

طرائف

معدحق

ذهب صديقان الى المطعم . وبعد أن فحصا قائمة الطعام ، قال الأول : ان شيئا يكلف كل هذا المبلغ يجب ألا يصفوه بأنه فاتح للشهية اطلاقا ..!

واحدة بواحدة

اعتاد المعجبون بالكاتب الانجليزي « جوناثان سويفت » ارسال الهدايا اليه مع خدمهم ، ولكنه لم يكن يعطي الخدم شيئا من المكافأة . وذات يوم جاءه غلام يحمل سلة بها هدايا كثيرة وطرق الباب ، وقال للكاتب المعروف ، بجفاء :

— خذ هذه السلة التي أرسلها اليك سيدي ؟!

فاستاء « سويفت » من هذه المعاملة الجافة ، وقال للغلام :

— قف أيها الولد حتى ألقنك درسا في الأدب .. هب أنك « سويفت » وأنا الخادم . ثم وقف امـام الغلام ، ورفع قبعته قائلا بعد أن انحنى قليلا :

— لقد أرسلني سيدي بهذه الهدية المتواضعة اليك ، وهو يرجو تشريفه بقبولها .

فأجاب الغلام على الفور :

— شكرا يا ولدي .. وبلغ سيدك امتناني ، وخذ هذه العملة لك .

...كما تعود

كانت الزوجة تلتقط صورة لزوجها وابنها اليافع . فقال الأب لزوجته :

ألا تبدو الصورة طبيعية أكثر اذا وضع يده في جيبي ؟!

بعد فوات الأوان

كانت سيدة معمرة تحتفل بذكرى ميلادها المائة ، فقال لها أحد الحاضرين : لا بد انك شاهدت في حياتك كثيرا من الحوادث المثيرة .

فقالت العجوز : كلا يا ولدي ، فقد كان كل شيء ينتهي قبل أن أجد نظارتي .

طرفة من الخارج

كان رجل يقود سيارة امتلأت بحوالي عشرة أطفال عندما تجاوز اشارة المرور الحمراء . فأسرع جندي المرور اليه وقال له غاضبا : ألا تعرف متى تتوقف ؟!

فقال الرجل (ناظرا الى الأطفال) : انهم ليسوا جميعا أولادي .

تأمّلات في قيمة الأخلاق

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

عبقرية وعبقرية :

قد لا يكون في مقدورك أن تتحدى سواك في ميادين العلم أو الأدب أو الفن ، ولكن في مقدورك أن تتحدى أيا كان في ميادين الفضائل والأخلاق . ذلك لأن التفوّق في العلم أو الأدب أو الفن يصدر عن مواهب العقل ومميزات الفطرة ، أما التفوّق في الفضائل والأخلاق فيصدر أكثر ما يصدر عن القلب والروح . فمن الميسور عليك ، والحالة هذه ، أن تعوّض نقص مواهب عقلك بوفرة فضائل قلبك وروحك ، اذ أن لكل انسان قلبا وروحا يهديانه بالغريزة الاجتماعية المشتركة الى الاحساس بما للفضائل والأخلاق من قيم عملية وخصبة ، ان هو استمسك بها . استطاع أن يطاول أصحاب العبقرية في العلم أو الأدب أو الفن بعبقرية مثلها ، أو أبلغ منها ، في الفضائل والأخلاق .

الاعتراف بالخطأ :

اذا ارتكبت خطأ ولم تشأ الاعتراف بـه ، ارتكبت خطأ ثانيا . واذا اعترفت مختارا بخطئك ، وضعت الخطأ في الماضي ، ووضعت العقل في الحاضر والحكمة في المستقبل .

ساعة الغضب :

اذا اتفق ان كنت تناقش انسانا في موضوع ما ، ثم انفعلت وتركت الغضب يتسرب الى نفسك ، فخصمك سينفعل أيضا ، وقد يجرحك . وعندئذ ينقلب نقاشك من رغبة في البحث عن حقيقة الى رغبة عليلة في الدفاع عن كرامتك ضد خصمك على حساب الحقيقة .

الخير والشر :

الشر قوة ايجابية ، والخير ميل فكري ورغبة سلبية . فكل رغبة في الخير ينصحك بها عقلك وتهمس بها عواطفك ، يجب أن تستمسك بها ، وتحاول ما استطعت أن تجعل منها قوة خلقية ايجابية ، تعرف كيف تعمل وتخدم وتفرض نفسها على الحياة كما يفعل الشر . والا أسرع الشر العامل اليقظ فطوّقها ، وحطّم جوهرها ، وحال بينها وبين انجاز الأعمال الطيبة الجليلة التي كان في وسعك أن تبدعها .

العدو والصديق :

ان عدوك لا يعرف في الغالب حقيقة نفسك ، وهو يكرهك لما يتوهمه شرا فيك ، ولذلك تسهل عليه العودة الى مصالحتك متى سنحت الفرصة . أما صديقك ، فمتى انقلب الى عدو لك ، فمن الصعب أن يغفر لك اساءتك ويعود الى مصالحتك . ذلك لأنه يعرف نفسك حق المعرفة ، ويحاسبك على شر حقيقي كامن فيك ، لا عن شر خيالي تصوّره عنك . فاحذر صديقك أكثر مما تحذر عدوك ، واحرص عليه لأنه هو الانسان الوحيد الذي انكشف له النقاب عن جوهر شخصيتك .

بين الاحتقار والتعظيم :

لا تبالغ في احتقار انسان أو تعظيم آخر . لأنك ان بالغت في احتقار شخص فلا بـد أن تعجز عن فهمه وتقدير كل ممكنات الخير الكامنة فيه . وان بالغت في تعظيم آخر ، فلا بد أن تطلب منه أكثر مما يستطيع أن يعطي ، وعندئذ يخيب أملك فيه .

الاعجاب والحسد :

اذا أعجبت بانسان أبرزت قيمتك الى جانب قيمته ، وأما اذا حسدته فكنت كمن يريد أن يختلس منه ما يمتاز به .

جحود الناس :

اذا شئت ألا يؤلمك جحود الناس ، فاسلك مسلك الجاحدين أنفسهم ، وانس كل جميل طوّقت أنت به أعناقهم .

أسرار الناس :

اذا ائتمنك انسان على سر يتعلق بسمعته وشرفه ، فافهم أن العبرة ليست في أن تكتم السرّ فقط ، بل العبرة كل العبرة في ألا يستخفك الكبر والزهو ، فتظهر بمظهر العارف ببواطن الأمور ، الذي في وسعه أن يبوح بالسر ولكنه لا يريد أن يتكلم . ان مثل هذا الموقف هو شرّ من الافشاء ، اذ هو يجسّم السر ، ويضاعف من رهبته ، ويلقي في روع الناس أن مـن ائتمنك عليه لا بد أن يكون قد ارتكب عملا فظيعا يفوق حدّ التصوّر .

المصلحة والواجب :

اذا أنت أخذت بمبدأ المصلحة فقط ، فالمصلحة في نظرك لا بد أن تتسع وتتجدد بتجدد مشتهياتك ومطامعك ، فتظل تبحث عنها وتنشدها دون أن تتأكد من أنك قد استطعت آخر الأمر أن تظفر بها كاملة . أما اذا أنت أخذت بمبدأ الواجب ، فستشعر أنك قد أدركت ما تريد . ذلك لأن الواجب يؤتي ثمرته في ساعته ، وتفيض منه الراحة والطمأنينة عند تأديته . أما المصلحة فوحش أبدي الجوع ، كلما زدته فرائس ازداد جوعا ونهما وانقضاضا .

أمام الربح والخسارة :

اذا خسرت شيئا عظيما فيجب أن تعرف كيف تتقبل الخسارة وأنت تبتسم . واذا ربحت شيئا عظيما فيجب أن تقابل ربحك بسكون ، كأن هذه هي دائما عادتك .

متى يجب الكلام :

تكلم عندما يجب الكلام ، ولا تستر أبدا فكرة صالحة . واعلم أن من يألف ستر فكرة صالحة ، قد ينتهي به الأمر الى التستر عـلى عمل قبيح .

أعباء الغير :

من الناس من يريدون أن يشاركهم الغير حمل همومهم ، لا ليخفّفوا من وطأتها عليهم ، بل

ليجدوا لذة خبيثة في شعورهم بأن سمّ الهموم قد سرى أيضا في نفوس من يسمعونهم .

لعنة البخل :

البخل ليس رذيلة فقط ، بل لعنة تشوّش العقل ، وتحجر العاطفة ، وتوصد القلب . فالبخيل قلّ أن يفتح قلبه لانسان ، وقل أن يستجيب لأي حب . اذ الحبّ هبة ، وكل هبة تستحيل في نظر البخيل الى مال ، حتى ولو كانت هبة عواطف مجردة .

الشجرة والحشائش :

اذا شئت أن تكون عظيما فكن كالشجرة ، ولتكن مشتهياتك المحرمة حشائش تحيط بالشجرة. الحشائش مهما نمت وتكاثرت وحاولت تسلق الشجرة ، فالشجرة المستقيمة المنيعة لا يمكن أن تنحني على الحشائش لحظة ، بل ترمقها بنظرة سخرية وازدراء ، وتظل ثابتة شامخة مشرئبة العنق الى العلا أبدا .

المؤمن الصادق :

اذا بحث الانسان فهو يبحث عن نفسه ، واذا أحبّ الانسان فهو يحب أيضا نفسه . ولكن المؤمن الصادق لا يطيل التحديق الى صورة نفسه ، بل يتطلع دائما وينظر الى أعلى ، حيث تلمع صورة الكمال في ينبوعها الصافي .

الضمير الحي :

ان مثل الرجل في حياته العملية كمثل المرأة في حياتها الزوجية . وكما أن المرأة يجب أن تكون على فضيلة راسخة وضمير حي ، بحيث تخلص لزوجها من تلقاء نفسها ، اخلاصا لا يصدر عن خوف من عقاب ، كذلك الرجل يجب أن يكون له نفس الضمير الحيّ يدفعه من تلقاء ذاته الى الاخلاص في عمله والتفاني في تأدية واجبه ، بصرف النظر عن القوّة التي تهدده بعقاب ، والتي قد تحاسبه على عمله اليوم أو غدا .

حاسب نفسك :

الأم كثيرا ما تؤرجح طفلها ، لا لتخفف عنه وطأة مرض يشكو منه ، بل لتخفّف من وطأة صراخه الذي يصمّ أذنيها . كذلك أنت في أغلب الأحيان تؤرجح عقلك بالحجج والأعذار والتماس الظروف المخففة كي تفرّ من مواجهة ذنوبك ، ولا تسمع في هدأة التأمل العميق صوت ضميرك . بيد أنك اذا رضت نفسك على التأمل في الوحدة والصمت ، استفاق فيك الضمير ، فألفت النظر الى نفسك ، وطاب لك أن تحاسبها لتهذّبها وتصقلها .

فكرتنا عن السعادة :

ان فكرة السعادة التي يحملها كل منا في أطواء نفسه ، ويتمنى لو ساعده الدهر على تحقيقها ، هي في الغالب فكرة مادية ناشئة عن المقارنة بين حظّنا الاجتماعي وحظ الآخرين ، أي بين ما كان يمكن أن تكون عليه سعادتنا المادية بالنسبة الى سعادة الآخرين . وهذه المقارنة ، هي التي تلهب أطماعنا ، وهي التي تشعرنا بالحاجة الى مطالب جديدة ، ورغبات جديدة ، ومتع جديـــدة ، لا بـــدّ أن يعذبنا التفكير فيهـــا والتلهّف عليها ، عذابا يسمّ آخر الأمر كل قسط من السعادة النسبية الموجودة لدينا .

فاذا شئت أن تكون سعيدا حقا ، فيجب الا تقارن .. يجب أن تعرف كيف تكتفي ومتى تكتفي ، على ألا يكون اكتفاؤك تواكلا فـــي النفس ، وبلادة في الحس ، بل استمرارا في الكفاح مع التسامي بالرغبات والمتع الى كل ما هو خيّر ونبيل . وما دمت وأنت تكافح سعيا وراء يسر مادي ، لا تغفل النظر الى مطالب عقلك وفكرك وكيانك المعنوي ، فأنت ستقرّ في نفسك التعادل بين المادة والروح . وهذا التعادل هو الذي يجعل منك انسانا أعلى .

طاقة وقوة :

بعض الناس لا يحيون . وهم أشبه بأولئك الذين يقفون بالمحطات وينتظرون قطارا ، بينما المحطة تدوّي والقطارات تسير . فاياك أن تعتقد أن الرغبة في الحركة هي الحركة ، وأن تصوّر القوة هو القوة ، وأن نية العمل هي العمل ، والا كنت حقا كمنتظري القطارات ، أو كنت كذلك العصفور الصغير البائس الذي يطير خلف النسر معتقدا أن النسر هو الذي يفرّ أمامه . فاذكر أنك طاقة وقوة ، وأن قيمتك في أن تستمد من ارادة الله ارادة لك ، وأنك قد جئت الى هذه الدنيا وأنت مشروع انسان ، وأن مجدك في أن تلهب طاقتك وقوتك ، وأن تكون بارادتك نحّات نفسك بحيث يتم على يديك اكتمال هذا الانسان .

بين الارادة والخيال :

كل عذاب مصدره التردد ، وشرّ ما يمكن أن يصيب الانسان هو أن ينقسم على نفسه . فأنت اذا لم تجمع شتات نفسك ، وتستنهض مدخر قواك ، وتنطلق ثابتا نحو الهدف الذي آمن بقيمته عقلك ، واستقرت عليه ارادتك ، أسرع خيالك فجسّم لك العقبات التي تنتظرك ، وألقى في روعك أنك أضأل واعجز من أن تستطيع تذليلها . فتنقسم بالرغـــم منك على نفسك ، ثم تستهتر بما كنت قد عزمت عليه . ثم تتدهور وتهرع الى سفاسف الحياة تدفن فيها آمالك ومطامحك .

اليد اليسرى :

عالج الأمور الصغيرة بنفس قوى الحرارة والايمان والاخلاص التي تعالج بها الأمور الكبيرة. واعلم أن الغرض من التقدم ليس هو تسلق الجبال ، بل ملء الفضاء بالأبنية العالية التي في وسعها أن تتطلع الى قمم الجبال . لذلك يجب أن تكون طموحا وأن تطلب الكمال ، على ألا تزعم أبدا أنك قد بلغته . واذا اعترضتك غاية ، وقيل لك أن تحقيقها ضرب من المستحيل ، فلا تكترث واقتحمها وجرّب قواك بعد أن تجندها بكاملها لتحقيق هدفك . ثم اذكر أن المستحيل لم يسمّ مستحيلا الا لأننا لم نجربه ، وأن اليد اليسرى التي نهملها ونحتقرها هي اليد التي يفزع اليها الفارس ساعة الخطر ، وهي التي يجذب بها العنان كي لا يجمح به جواده ، فيرديه .

تجاه الكارثة :

اذا شئت أن تحرص على قوة ارادتك ، فانظر الى الكوارث التي تنزل بالنفس على اعتبار أنها رياضة لها كرياضة الجسد . وكما تشيع الرياضة في بدنك المرونة والصحة ، كذلك يجب أن تشيع الكارثة في نفسك روح الجلد والكفاح . الكارثة لا بدّ منها ، وهي قانون من قوانين الحياة . ولكن الكارثة ليست كتلة صخرية صلبة مروعة كما يصورها لك وهمك ، انما هي مجموعة أحجار متماسكة ألّفت بينها ظروف معينة . فاذا فاجأتك أية كارثة ، فدر حولها وتأملها حتى تقع على الحجر الضعيف الناتيء منها . ومتى وقعت عليه فاسرع وهاجمه بجمع ارادتك وقواك .. هاجمه هو وحده ، وعندئذ تبصر الكارثة تترنح أمامك ، ثم تتقوض فجأة وتنهار حجرا على حجر ■

النقد الأدبي بين الذوق والعلم

بقلم الاستاذ احمد حسين الطماوي

تختلف الآراء في الأدب ، لاختلاف الأذواق التي تتأثر به وتحكم عليه لمعرفة سوانحه وبوارحه .

والنقد مسؤول الى حد كبير عن تشكيل الألوان الأدبية وتوجيهها والتأثير فيها والسمو بها . وكثيرا ما ينشيء النقد في النفس مؤثرات خاصة ، تزول أو تدوم حسب القيمة الحقيقية لهذا النقد . وقد اعترف كثير من الأدباء بأن نظرات النقاد أثرت فيهم وفي آدابهم وأذواقهم . وأنها وجهت مؤلفاتهم وجهة حسنة وأرشدتهم الى منهج واضح ، وبصرتهم بما في كتاباتهم من عيوب يمكن تداركها .

ودور النقد في الأدب ليس من اليسير انكاره أو اغفاله ، ولهذا عدّ الناقد قوة فكرية لها قيمتها وشأنها ، لأنه يكلأ الأدب برعايته ، ويجنب الأدباء التمادي في الخطأ ، ويخلّص الموضوعات الفنية من أسباب السقوط بما يستتلي من معانيها ويستسل من أفكارها . ولا ريب في أن وجود النقاد من شأنه أن يمنع ، ولو الى حد ، تافهات الموضوعات ، فيصبح الأدب أنفع للحياة وأجدى في الارتقاء بالذوق والفكر مما لو انعدم النقد .

وقد يختلف النقد صحة وفسادا ، وقوة وضعفا . فقد يكون النقد رشيق التعبير ، خلاب البيان ، سامي الخيال قريبا من الصواب ، يتلمس أسرار النص الأدبي المعروض للفحص ، ويفتح أغلاق الأفكار المستورة في تلافيف الكلام ، فتنقاد الأساليب مطواعة في يد الناقد مؤتلفة مع المعاني ، فتضفي على الموضوع وضوحا واشراقا . فاذا صار النقد نقدات جوفاء ، ونزعات فاسدة ، وأهواء منحرفة ، وفتور تعبير ونقص ادراك وتمييز ، غشي الموضوع كثير من الغوامض وتشابكت فيه أدغال ومجاهل .

ويرجع بعض المفكرين هذا التفاوت الى الذوق الشخصي ، ويعزوه بعضهم الآخر الى المستوى العلمي الذي يصدر عنه النقد . ومما لا ريب فيه أن النقد الأدبي لا يمكن أن يقوم على العلم وحده أو على الذوق وحده . ودليلنا على أن النقد لا يقوم على الذوق وحده ، أنه يحتاج الى انتقال الخبرة ، والى معرفة أبعاد المهمة النقدية في حد ذاتها . وهذا كله لا يتأتى الا بالعلم ، لأن العلم هو وسيلة تناقل الخبرات ، وتناوبها بين عقل وعقل .

واذا بقي النقد ممارسة وجدانية ، واستقل عن العلم ، وعاش بمعزل عن الأصول والقواعد العلمية ، تحول الى فن خالص . فاذا صحّ أن النقد يعتمد على الخبرة الذوقية المحضة ، فهو محتاج بغير شك الى ممارسة هذه الخبرة في نطاق أوسع من نطاق الوجدان الشخصي الفردي ، وهو ما لا يحققه الا العلم .

ومما لا يحتمل شكا أن النقد ممارسة للعمل الفني ، وهي ممارسة لا يمكن أن تنبني على معرفة سطحية ، ومن الضروري أن تكون علما بالمعنى الحقيقي ، لأن الذوق قلب ، ولأن مساري الهوى تستطيع أن تتحكم في الذوق الفردي . ومن المستحيل حماية هذا الذوق الفردي من الميول والرغائب ما لم نضع له أسسا يتحرك فوقها ، ونعدّ له أرضية من الفهم والاستيعاب والتقدير . وبغيرها لا يحسن نقد ، لا سيما وأن هناك فئة من النقاد تلجأ الى الذوق لتكثر في الأدب الادعاءات ، وتشيع الفوضى الفكرية .

واذا ذهبنا الى حد الزعم بأن النقد علم محض ، فنحن عاجزون في هذه الحالة عن النفاذ الى جوهر العمل الفني ، ومعرفة ملامحه وسماته ، لأن النفاذ الى العمل الفني يخرج من نطاق الجزئي الى الكلي ، وينتقل من البعض الى الشمول . والحركة بين الجزئي والكلي ، وبين البعض والشمول لا تتحقق بالعلم وحده ، بل تتطلب ذوقا نفاذا حادا . أي أن المسبار الذي يعتمد عليه النقد جزء لا يتجزأ من الممارسة الفنية ، التي قد يعتمد الجزء الأكبر منها على الخبرة العلمية ، ويظل قليله معتمدا على القدرة على الاستحسان والقدرة على التمييز ، وهي ملكات لا تتوافر بالعلم وحده .

والنقد الذوقي ادراك لخصائص الأثر الفني واحساس بقيمته ، أو بعبارة أخرى انه استجابة من جانب الناقد لهذا العمل أو انعدام لتلك الاستجابة . ولا نقصد بالنقد الذوقي الانفعال أو الأثر النفسي بعد القراءة السريعة للعمل الفني ، ولكن هذه الانفعالات أو الآثار النفسية تعيش فترة في وجدان الناقد ويستشعر قيمتها أكثر فأكثر . وهكذا ينمو الذوق في ضوء الوعي المتيقظ ، فلا يعوزه نظام أو تدريب .

والذوق هو أفضل الأشياء تفتحا وتفهما لنصوص الأدب وتقديرا لها . وهو الذي ينبه الناقد الى القيم الجمالية ، ويخلص الى لباب الأشياء ، ويستشف كنهها ، كما أنه يتبصر عالما عامرا بالمشاعر جياشا بها ، زاخرا بالعواصف منفعلا معها ، بما لصاحبه من زكانة ملهمة ، وفهم موح ، وخيال وثاب ، وتوسم صادق . وانه لمن السخف أن نجعل لمعاني الأدب وموحياته موازين ثابتة وقواعد راسخة لها صفة الدوام ، والذوق ، كما هو معروف ، في تغير مستمر .

وعندما نستعرض نصا أدبيا ، ونخضعه لمقاييس متجمدة ، ونعزله عن الذوق الفني المرن ، فاننا نسلب النص أكبر مزاياه ، لأن تطبيق القواعد على النص يسقط الذوق بل يلغيه . يضاف الى ذلك أنه ليس هناك قاعدة عامة مسلم بها ، كما أن من الخطأ البيّن أن ننظر الى الأشياء كلها من زاوية واحدة .

وليس في الوسع وضع مبادىء مطلقة للنقد . والنقد الذي يتحول الى نظريات علمية جامدة لا لذة فيه ، ولا يكتسب صفة الدوام . واننا اذ نريد سبر عمل فني مفعم بالخطرات مكتظ بالمشاعر لنبلو مواطن الحسن فيه ، ونستنزل منه معانيه ، لا نجد أمامنا الا الذوق وبعض آراء الأقدمين . وليس من مؤدى هذا أن الذوق في امكانه أن يصل الى الحقيقة في ذاتها ، ولكن حسبه أن ينفعل بالأثر الأدبي ، وبهذا الانفعال نصل الى نتائج هامة تتعلق بصميم العمل الفني .

وان النقد الذوقي ليكون أكثر صوابا لو حاول أن يستفيد من الاطلاع على كثير مما استجد من المقاييس والآراء والمبتكرات في الفنون والعلوم الحديثة . ومما يكسب الذوق أهمية كبرى في

النقد أنه أمر شديد الحساسية . وهو من ثم يستشعر السرور الناجم من الاعجاب بالطرائف الأدبية ، والبدائع الفنية . فالذوق مرتبط بالشعور ، والشعور أشد رهافة من القواعد العلمية التي لا تتغير ، وانتقال الشعور من شخص الى آخر أوقع في النفس من كل محاولات الشــرح والتعليل ، كما أن المرء يرتقي كلما ارتقى ذوقه وتمرّس ، فيرتقي تبعا لذلك الفكر ، وهو بدوره يقوم الأعمال الفنية ويقدرها .

من أجل ذلك لا يسع النقد أن يصبح علما مستقلا ، ولا بدّ له من الاقتران بذوق حساس وقواعد يتعارف عليها الناس ، أو بعبارة أخرى ، ان العمل الأدبي الرائع لا يستند الى سلامة الذوق أو الى دقة العلم ، وانما يكون عملا فنيا متكاملا اذا جمع الاثنين في وحدة تكاد تكون متكاملة .

وللمرء أن يتساءل عن وظيفة الخيال في عملية النقد ، والجواب على ذلك أن الخيال يلعب دورا واحدا في عملية النقد وهو أنه يحاول أن يضع البدائل لكل المتحققات الفنية ، التي تتمثل في العمل الفني وتتخلل أجزاءه . فالخيال يضع أمام الذهن كل احتمالات تحقق الفكرة أو المعنى المراد التعبير عنه بانتاج العمل الفني ، والخيال هو الذي يرى كل الامكانات التي لا يتحتم بالضرورة أن تكون هي ما أنتجه الأديب في عمله الفني تعبيرا عن المعنى . فالأديب يرى وجها واحدا لتحقيق المعنى في التعبير الفني هو الذي يؤديه ويبرزه . أما الناقد فيرى مئات من الأوجه الأخرى التي يمكن أن تؤدي هذا المعنى في أعمال أدبية ، وهو يرى هذه الأوجه بخياله طبعا .

فالقصيدة التي تجود بها قريحة الشاعر في معنى معين لا يشترط بالضرورة أن تكون التعبير الوحيد عن المعنى المراد أداؤه ، فمثلا بيت المتنبي القائل :

أنام ملء جفوني عـــن شواردهـــا
ويسهر الخلق جـــراهـــــا ويختصم

يمكن لشاعر آخر أن يسوق هذا المعنى بأساليب شتى وطرائق أخرى ، وبطبيعة الحال أن الخيال هو الذي يستطيع تصور احتمالات الأداء المختلفة.

وعلى الناقد الحصيف أن ينظر الى العمل الفني الذي أبدعه الشاعر في هـــذا المعنى ، وأن يسأل نفسه : هل هذا هو أوفق وأطيب ما يقال في هذا المقام ؟ ولكي يستطيع الناقد أن يبلغ هذا المدى ، ينبغي له أن يعدد أوجه احتمالات الأداء المختلفة ، ويزن القصيدة في ضوء هذه الاحتمالات بكل ظلالها .

أما من حيث القيم الجمالية ، فالذي لا ريب فيه أن الجمال يعين على التمييز السليم ويساعد على قياس الذوق عند انتقاله من رؤية الى رؤية ، أي ان الجمال يستخلص بالموازنة بين الأعمال الفنية ، كما ان الأصول الجمالية تطلق ضوءها الكاشف على الأعمال ، فيتميز منها أبدعها وأفضلها على الاطلاق .

وتتلخص مهمة الجمال في كونه يقدّر عملية الابداع في كيان العمل الفني ويقوم الى جانب ذلك بالكشف عن مدى سلامة الأحكام النقدية ، كما يحدد الفروق الجوهرية في ما بينها ويقرر أفضلية هذه على تلك . فاذا قال ناقد ان فلانا أشعر من فلان ، فكيف يتأتى للقارىء العادي أن يعرف هل هذا الحكم صادق أو معيب؟ ولا جواب عن هذا السؤال الا بالرجوع الى القيمة الجمالية في العمل الفني ، وهي وحدها خير برهان وأفحم ردّ ■

من شطائر القافلة

كم من شطيرة تغني حيث لا يغني سواها ، وكم من كلمة موجزة تصادف من الصدور انشراحـــاً ، ومن النفوس ارتياحاً .

العصور الوسطى

أهذه العصور بداية ونهاية محددتان بعام من الأعوام أو حدث من الأحداث ، أو ظاهرة من الظواهر ؟

أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين يرون أن هذه العصور تنتظم ٩٧٧ سنة ، وتمتد من عام ٤٧٦م ، وهو العام الذي شهد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية تحت وطأة الضربات التي انهالت بها عليها قبائل الجرمان ، الى عام ١٤٥٣م ، وهو العام الذي انهارت فيه الامبراطورية الرومانية الشرقية على أيدي الأتراك العثمانيين ، وانتعشت فيه النهضة الايطالية في القرن الخامس عشر . وهذه الفترة التي أطلق عليها اسم العصور الوسطى أو القرون الوسطى يميزها علماء تاريخ الحضارة البشرية – أعظم ما يميزونها – بانقسام البلاد المحيطة بالبحر الأبيض المتوسط الى نظامين حضاريين مختلفين هما : نظام أوربـــا المسيحية ، ونظام البلاد الاسلامية ، غربي آسيا ، وشمالي أفريقية ، وجنوبي شبه جزيرة ايبيريا .

يرى بعض الباحثين ان العصور الوسطى ، لا تطلق الا على القرون الأربعة التي سبقت النهضة الايطالية مباشرة . أما الفترة الممتدة بين القرن الخامس والقرن الحادي عشر ، فتعتبر مرحلة انتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى .

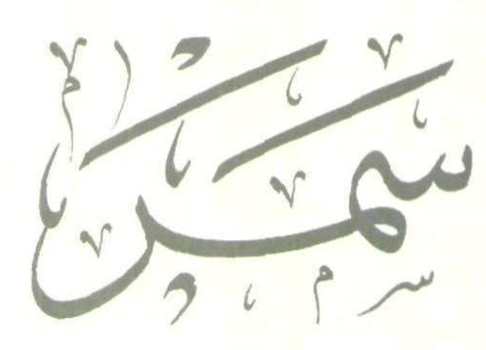
ويروقني هنا قول الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، في مقدمة الجزء الأول من كتابه « أوربا العصور الوسطى » : .. واذا كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين ، قد أصروا دائما على اتخاذ سنة ٤٧٦م ، وهي السنة التي سقطت فيها الامبراطورية في الغرب ، حدا فاصلا بين العصور القديمة والعصور الوسطى ، وسنة ١٤٥٣ ، وهي الســـنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين ، وانتهت فيها حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا ، وحدا فاصلا بين العصور الوسطى والعصور الحديثة ، الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هذا الاتجاه . ذلك أن اختيار سنة بعينها أو حدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ ، أو بداية عصر آخر يبدو في نظرنا أمرا بعيداً عن الحقيقة والواقع . لأن التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه ما يكون بالكائن الحي . وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة بعينها لنقول : أن الفرد ينتقل فيها من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب ، أو من هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . فكذلك من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محددة لنقول أن العصور القديمة قد انتهت فيها بجميع مظاهرها لتحل محلها العصور الوسطى ، أو أن العصور الوسطى توقفت فيها عن المسير تماما لتفسح الطريق للعصور الحديثة . وبعبارة أخرى فاننا نؤكد تداخل العصور التاريخية بعضها في بعض ، بحيث لا تفصلها حدود ضيقة وسنون معينة . وان كان من الممكن أن نتلمس العذر للمؤرخين عندما يصطلحون على اختيار بعض السنوات الهامة أو الأحداث الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية ، فالغرض من ذلك هو مجرد الرغبة في تسهيل البحث على أساس أن هذه السنين ، وما تم فيها من أحداث كبرى ، هي أخطر الوقائع في مرحلة الانتقال بين عصر وآخر .

وهذا الذي ذهب اليه الدكتور سعيد عاشور ، من تداخل العصور التاريخية بعضها في بعض ذهب اليه كثير من المؤرخين المحققين من قبل ومن بعد ، وهو مذهب قويم يرتاح اليه الذوق التاريخي السليم

■

اعداد الاستاذ الغزالي حرب





بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

اشتدت حرارة الجو على الأنفاس في مكة . وهرع الناس الى أعاليها وأطرافها يلتمسون فيها نسمة من هواء ترد اليهم روحهم ، ومنهم من صعد في جبل الهدى يقضون فيه سويعات يحسون فيها بالبرد المنعش يرد الى نفوسهم المنقبضة شيئا من راحة واسترواح . فقد كان يوما من الأيام التي يقسم أهل مكة — ومنهم المعمرون الذين طال الزمان بهم — أنهم لم يشهدوا له مثيلا منذ سنوات عديدة .

وكنا جماعة من الأصدقاء لواحد منا سيارة صغيرة تنفع وقت الشدة والحاجة . وأي شدة وحاجة غير هذه تكون فيها السيارة الملاذ والمنقذ . وما كادت الشمس تتوارى عن الانظار . حتى كان صاحبنا يدور علينا واحدا واحدا . يتلقفنا كما يتلقف منقذ غرقى في يم قد أوشكوا على الموت . وما كدنا نستقر في السيارة ، أو نحشر فيها حشرا . حتى كانت تمضي بنا متهادية تارة . ومسرعة تارة أخرى . الى أبعد من « المعابدة » . وما جاوزناها وتركنا حدود مكة وراءنا ، حتى سأل صاحبنا : الى أين ؟ فقال قائل منا : ليكن الى منى . ولم يلق اعتراضا على قوله . فقد كان المهم عندنا جميعا أن نجد مكانا نشم فيه نسمة هواء ، بعد يوم خيل الينا فيه أن الهواء قد سكن تماما . أو أن شيئا ما قد امتصه من الفضاء الواسع امتصاصا فلم يبق له وجود . ودرنا دورة قصيرة في منى . وقطعنا شارعها الطويل الممتد من أولها الى آخرها . ثم انحرف صاحبنا بسيارته الى مكان قصي . هو فضاء رحب تتحرك فيه نسمات قليلات كن عندنا أعذب من الماء الزلال عند تائه في صحراء قاحلة ، لا ثمر فيها ولا شجر . وفتح صاحبنا صندوق سيارته ، فأخرج منه فراشا نجلس عليه ، وبرادا قد حفظ فيه شراب الشاي المنعش . الذي يحلو احتساؤه اذا حلت الجلسة وطاب السمر .

وجلسنا على الفراش المبسوط ، وقد تنفسنا الصعداء ، وأقبل الليل . غير حالك ولا دامس . فالليلة مقمرة ، والقمر في كبد السماء بدر منير باهر السنا . يختفي بين السحب اذا أطال أحدنا النظر اليه . فكأنه يغضي حياء ، ويتوارى كما تتوارى حسناء غضة الاهاب . خلف باب أو خلف نقاب .

وبعد حديث قصير عن وطأة الجو في يومنا ذاك ، وما اصطلينا من حره وشره . وما أصاب أجسادنا منه . أخذنا نخوض فيما كانت عليه « منى » منذ سنوات . وما هي عليه اليوم .. كانت فيما مضى قفراء لا دور فيها ولا عمار . فهي لا تحيا الا أياما معدودات من كل عام ، وكيف أصبحت اليوم تعمر بالدور . وتتناثر فيها المقاهي هنا وهناك على مدار العام ، وكيف أضيئت بالكهرباء التي طردت منها « الجن والعفاريت » . فلم يعد الناس يتندرون بحوادثهم ونوادرهم مع بني الانسان ، كما كانوا يتندرون .

ومن هنا كانت بداية هذا الحديث الذي طال ، ولم يخرج عن هذا المدار ، مدار الجن والعفاريت الذين كانوا يمرحون ويسرحون ، لا يحد نشاطهم أحد ، ولا يقف دونهم انسان ، الا اذا أقبل الموسم ، ومعه الحجيج مكبرين مهللين ، طاردين بتكبيرهم وتهليلهم كل شيطان رجيم . وفي جعبة كل منا الكثير من أحاديث هذه الأسمار يشد بعضها بعضا ، فكأنها كرة يتقاذفها لاعبون في ميدان رحب فسيح .

واعتدل أحدنا في جلسته ، ومد قدميه الى أمام . ثم قال : أما أنا فأحدثكم عما سمعته من أحاديثهم — جعل الله كلامنا خفيفا عليهم — وهو حديث سمعته من جدي رحمه الله وأنا حديث السن ، ولا يزال راسبا في أعماق ذاكرتي ، يطفو على سطحها كلما حانت مناسبة في مثل هذه المناسبات . قيل أن رجلا أدركه الليل في منى . وخشي عاقبة مواصلة السير حتى يصل الى مشارف مكة . فأراد أن يلتمس لنفسه مبيتا فيها حتى يشرق الصباح ، فيمضي شطر وجهته مطمئنا ، لا يزعجه زاعج من جن أو انسان . وفتش عن بغيته فلم يجدها في غير حوش مهجور ، تطلع في أنحائه ، فلم يجد غير راعي غنم قد افترش الأرض وتوسد حجارة من حجاراته ، وحوله غنماته قد شملها السكون ، وران عليها الصمت . فقال يحدث نفسه : لا بأس . راعي غنم أدركه الليل كما أدركني ، فهو يلتمس مبيتا يقضي فيه ليلته حتى الصباح . وانتحى ركنا بعيدا من أركان الحوش فنام فيه . ولكنه لم يكد يفعل حتى جعل جسمه ينتفض انتفاضا متتابعا ، فهو يشعر بأشياء تخزه وخزا هنا وهناك . ويفتح عينيه فلا يرى شيئا ، فاذا عاد الى النوم عاد الوخز يخز جسمه . ويعود الى النظر والتطلع فلا يرى شيئا ، ولا يريبه شيء ، فكأنها لعبة لا تريد أن تنتهي .

وصاحبنا محدث لبق . لا يمضي في حديثه على هذا النحو ، وانما ينتزع منا الضحك انتزاعا . بما يأتي من حركات واشارات . ولا يرضى منا بأقل من القهقهات العاليات يضج بها المجلس ، ويردد جنباته صداها .

وعاد محدثنا الى قصة الرجل البائس الذي كان عليه أن يخلص مما وقع فيه ، وهو يريد أن يخرج من ذاك المكان فيمنعه الخوف ، ويريد أن يغمض عينيه قليلا حتى يشرق الصباح . فيؤلمه الوخز . ولم يجد مندوحة آخر الأمر من أن يلملم أطراف شجاعته التي ذهبت بددا ، وأن يهب مسرعا فينطلق كالسهم ملتمسا النجاة . وهب واقفا مزمعا القيام بما أجمع عليه أمره ، وأراد أن يتجه الى الباب ، فاذا الغنمات القليلات قد أصبحت كثيرات لا يحصيها عد ، وقد التصقت الواحدة منها بجانب الأخرى فليس بينها فرجة واحدة يضع فيها قدمه ، وليس هذا فحسب ، بل لقد تغطت جميعها بغطاء كما يتغطى الناس ، وانحسرت الغطاءات فجأة لتكشف عن وجوه أناس ، وليست رؤوس أغنام .

ولا يدري الرجل المسكين كيف خرج من

أنه شبع منه بضحكات مجلجلة كأنها الرعود في يوم مكفهر .

وانفجرت ضحكاتنا كأنها تريد أن تتصل بضحكات أناس البيت الموحش الكئيب على بعد الزمان واختلاف الظروف والملابسات . وهدأت الضحكات لتبدأ بعدها ضحكات أخرى بعد حكاية من هذه الحكايات . حكاها آخر منا . فقال :

أما هذه فتقول أن رجلا كذاك الرجل ، أدركه الليل كما أدرك صاحبه . ولكنه لم يشأ أن يلتمس لنفسه مأوى في منى ، فقد كان أبعد نظرا ، وأكثر فطنة ، فقدر أن المبيت فيها لا تحمد عقباه ، ولا تؤمن مغبته ، فجعل يغذ السير ليخرج من نطاقها هربا مما يتوقعه ويخشاه . وفيما هو جاد في سيره ، غارق في أفكاره ، اذا به يرى امرأة عجوزا قد ناء كاهلها بحمل طفلة صغيرة ، فأشفق عليها . ولم يكد يقترب منها حتى توسلت اليه أن يحمل عنها طفلتها قليلا ، فيريحها من تعب حملها الذي يضاف الى مشقة السير الطويل . ورق لها قلب الرجل فتناول الطفلة من بين يديها ووضعها على كتفه ، ومضى بها فرحا ، وقد سره أن يجد أنيسا لوحشته يعينه على اجتياز الطريق الموحشة ، كما سره أن يداعب الطفلة الصغيرة الحلوة ، وقد ود لو أن له مثلها

الصغيرتين في شغف وهو يداعبها بيده ، واذا بفرحه وسروره ينقلب هما وترحا ، واذا بالقدمين الصغيرتين تتدليان الى أسفل شيئا فشيئا حتى يحس بهما تضربان في ساقيه ، وتكادان أن تلمسا الأرض . ويحمل الطفلة ذات الساقين الطويلتين ، فيضعها على كتف العجوز الماكرة ، ويطلق العنان لرجليه ينجو بهما من هذا البلاء المستطير ، والعجوز الماكرة تشيعه بعبارة استفهام عن صنيعه ، قائلة :

— مالك يا ولدي ..

تتبعها بضحكة سخرية واستهزاء هن هذا الخائف الوجل من أبسط الأشياء .

وغرقنا جميعا في ضحك متواصل ، ثم اضطر رفيقنا صاحب السيارة الى أن يذهب بعيدا في الخلاء الممتد العريض يقضي فيه حاجة .

ولقد ذهب ضاحك السن ، مفتر الوجه ، منبسط الأسارير ، تشيع البهجة في جميع أنحاء نفسه وجسمه معا ، ثم عاد مكفهر الوجه ، منقبض الأسارير ، مصفر اللون ، جامد الملامح والسمات . ونسأله عما اعتراه فلا يحير جوابا ، ولا يخرج من فمه غير كلمة « هيا » ، يكررها مرات ومرات ، ويأمرنا بها أمرا لا يقبل نقاشا أو جدالا أن نسرع الى السيارة . ويجلس أمام

ما يمكنه . ويتطلع بعينيه الى أمام . وينطلق بسيارته في عنف ، خشينا معه أن يصيبنا مكروه من جرائه . ووصلنا الى مأمننا سالمين . وقد نعمنا برحلة ممتعة . وسمر شيق . لم ينغص علينا شيء غير هذا الذي أصاب صاحبنا ، ولا ندري له سببا أو نعرف له تعليلا .

وظل هذا التصرف سرا مكنونا في صدر صاحبه ، لا يريد أن يبوح به ، حتى انتزعته يوما من بين خباياه ، بعد طول رجاء والحاح . قال ، مستعيذا بالله من كل شيطان رجيم ، أنه ما كاد يبعد في الفضاء الممتد العريض ويختفي عن أنظارنا ، وصورة العجوز وابنتها لا تزال مرسومة في نفسه ، اذا به يفاجأ بمثلها تحمل على كتفها صبية ، وتتوسل اليه مثل توسل صاحبة الرجل الذي لقيها في طريقه . وكاد يغشى عليه ، وخيل اليه أن قدميه قد تسمرتا في الأرض ، وظل برهة لا يدري كيف مر الوقت فيها ، ولا يذكر حقيقة ما سمع من العجوز أو ما قال لها ، وما دار بينهما ، وكل ما يذكره أنه أطلق ساقيه تسابقان الريح ، حتى وصل الينا على الحال التي رأيناه فيها .

وأنهى كلامه باقتضاب شديد ، ثم حول مجراه الى ناحية أخرى ، وهو يرجو ألا أعود اليه ، أو أخوض في مثله ■



أنا وابني وأبي

للشاعر صالح علي الصالح

أطبق الصمت شفاه البلد   واستلان النوم جفني ، ويدي

لم يكن كوخي ، ولا متكئي   وافر الدفء ، ولا متسدي

شهق الريح على نافذتي   وتعالى صوت نقر البرد

أنا في ليل شتاء عاصف   مبرق ، سكب الغوادي ، مرعد

من ضجيج الريح لي أغنية   وأجيج الموقد المتقد

عن يميني ظل انسان له   حدبة القوس وسقم المرود

خافت الهمس ، خرير أهتم   راعش كالسعف المرتعد

مطمئن القلب ، واطمئنانه   من صفاء النفس والمعتقد

لم يلطخ قلبه حقد ، وما   أسعد القلب الذي لم يحقد

وأمامي ، وعلى مرمى يدي   يلعب الطفلان : أندى ، وندي

حشدا جيش الدمى ، واشتبكا   في صراع وسباق ودد

كلما مس يديها أو رمى   دميتيها ، صرخت : لا تعتد !

أشتهي أن يحردا كيما أرى   ما أراه في دلال الحرد

أوليسا قطعا من أعظمي   من شعوري ، من دمي ، من كبدي

* * *

أنا وابني وأبي في غرفة   جمعت أمسي ويومي وغدي

لست ظلا زائلا ترسمه   في جدار البيت نار الموقد

لا ولا خفقة ريح عبرت   وانطوت بين الغصون الميد

أنا كل الأمس ، لكن في أبي   وأنا كل غد في ولدي

رحلتي من أول الدنيا وما   برحت تمتد منذ الأبد

مكره في الدهر أمضي قدما   من غد الأمس الى أمس الغد

* * *

أشرق الفجر على نافذتي   وتلاشى صوت نقر البرد











* صدر أخيرا الجزء السابع من « دائرة المعارف اللبنانية » التي يحررها الأستاذ فؤاد أفرام البستاني ، ويسهم في اعداد مادتها طائفة من أهل الاختصاص ، وعلى ضخامة الأجزاء السبعة التي صدرت منها الى الآن ، فهي ما زالت في حرف الألف .

* استطاع الباحث البيليوغرافي الأستاذ يوسف أسعد داغر حصر جميع الكتب العربية ومقالات المجلات التي تدور حول موضوع السودان أدبا وتاريخا واقتصادا وآثارا واجتماعا ، وصنفها في كتاب جديد عنوانه « الأصول العربية للدراسات السودانية » والفترة التي يتناولها هذا الاستقصاء هي ما بين سنتي ١٨٧٥ و ١٩٦٧ .

* يطبع الأستاذ منير البعلبكي معجما جديدا في حجم الجيب عنوانه « المورد القريب » انكليزي – عربي ، يسعف في المراجعة السريعة لمعاني الألفاظ .

* أصدر الشاعر الأستاذ محمد مصطفى الماحي طبعة ثالثة من « ديوان الماحي » في مجلد كبير صفحاته نحو ٨٠٠ . وقد ألحق الشاعر به كتابا يبسط صفحات مطولة من حياته وذكرياته ، والملابسات المتعلقة بكل قصيدة ، والأدباء والشعراء الذين خالطهم وعرف من دقائق حياتهم ما نسيه التاريخ أو أنسيه .

* وظهرت طائفة جديدة من دواوين الشعراء على النهجين القديم والجديد ، منها « أحزان البنفسج » للأستاذ عبد الخالق فريد وله مقدمة تحليلية للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي ، و « ديوان الحرية » للشاعر المغربي الراحل الأستاذ عبد الكريم بن ثابت ، و « القلب الأخضر » للأستاذ تاج الحسن ، و «سقوط دبشليم » وهو قصيدة طويلة للأستاذ محمد الفيتوري ، و « النجم والدرويش » للأستاذ أرشد توفيق ، و « أنهار الملح » للأستاذ كمال عمار . كما صدرت « الأعمال الشعرية الكاملة » للأستاذ نزار قباني في مجلد واحد يضم سبعة دواوين . ويصدر قريبا ديوان « سنابل الغضب » للأستاذ نجيب جمال الدين بمقدمة للأستاذ سعيد عقل .

* هنالك دراسات تعالج مناحي الشعر صدر منها دراسة للأستاذ عيسى الناعوري باللغة الانجليزية عن « الشعر المعاصر في الأردن والشاعر الكبير مصطفى وهبي التل » ، وصدر للمرحوم الأستاذ مارون عبود كتاب « الشعر العامي » ، وترجم الأستاذ عبد المعين الملوحي كتاب « الشعر الصيني من أقدم أصوله حتى اليوم – تعليقات ومختارات » وهو من تأليف باتريسيا غويللرماز وراجع الترجمة الأستاذ صدقي اسماعيل .

* في التربية وعلم النفس صدرت مجموعة من الكتب الجديدة منها طبعة رابعة من الجزء الأول من كتاب « علم النفس التربوي » الذي اشترك في وضعه المربون الأجلاء الدكتور محمد مظهر سعيد والأستاذان محمد عطية الابراشي وحامد عبد القادر ، و « تطوير السياسة التعليمية في المجتمع العربي » للأستاذ محمد علي حافظ ، و « التطرف كأسلوب للاستجابة » للدكتور مصطفى سويف ، و « علم النفس عند فرويد » لكالفن هول وترجمة الدكتورين أحمد عبد العزيز سلامة وسيد أحمد عثمان ، و « كيف تهدأ نفسك » لولفريد نورثفيلد وترجمة الأستاذ صلاح مراد . كما أصدر الدكتور محمد مظهر سعيد رسالة عن « الأسرة والمجتمع » تناول فيها المقومات النفسية والاخلاقية للأسرة السليمة في الجماعة .

* من الدراسات الاسلامية التي ظهرت أخيرا « الدين للحياة » للدكتور أحمد الشرباصي ، والجزءان الثالث والرابع من « التفسير القرآني للقرآن » للأستاذ عبد الكريم الخطيب ، و « الأركان الأربعة في ضوء الكتاب والسنة » للاستاذ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، و « الحرية في الاسلام » للدكتور علي عبد الواحد وافي ، و « القرآن والعلم » للدكتور جمال الدين الفندي ، و « العرب والعلم في عصر الاسلام الذهبي » للدكتور توفيق الطويل .

* أصدر الكاتب الكبير الأستاذ محمود تيمور كتابا نفيسا عنوانه « أدب وأدباء » ضمنه نظرات بصيرة في مذاهب الأدب وقضاياه وفي الأدباء الذين عرفهم أو تأثر بهم .

وهناك طائفة أخرى من الدراسات الأدبية الجديدة منها « الأدب المسؤول » للأديب الراحل الأستاذ رئيف خوري ، وطبعة ثانية من « الخطب والمواعظ » للأستاذ محمد عبد الغني حسن ، و « الأدب في العصر الأيوبي » للدكتور محمد زغلول سلام ، و « مختارات الشعر الجاهلي » للمرحوم الأستاذ عبد المتعال الصعيدي ، و « ماذا يبقى منهم للتاريخ » وهو دراسة عن أعلام الأدب المعاصر للاستاذ صلاح عبد الصبور .

وتعد السيدة وداد سكاكيني كتابا جديدا عن « العامية والفصحى » .

* استأثرت السير والتراجم بعناية الكاتبين ، فصدر منها أخيرا « المسعودي » للدكتور علي حسني الخربوطلي ، و « صقر قريش عبد الرحمن الداخل » للأستاذ عبادة عبد الرحمن كحيلة وقد قدم له الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، و « أبو الريحان البيروني – حياته ، مؤلفاته ، أبحاثه العلمية » للأستاذ علي أحمد الشحات وتقديم الدكتور عبد الحليم منتصر ، و « حياة عمر رضي الله عنه » و « حياة يوسف عليه السلام » وكلاهما للأستاذ محمود شلبي ، و « تيبول – حياته وشعره » للدكتور حسن عون .

* مجموعة كبيرة من القصص المختلفة صدرت مثل رواية « الآباء والأبناء » لماري كوريللي وترجمة الأستاذ عمر عبد العزيز أمين ، ورواية « نين مادلين» لأرنست بيرتسول وترجمة الأديبة فاطمة علي نجيب ، ورواية « أبطال الأرجو » لأبولونيوس روديوس وترجمة الأستاذ أمين سلامة ، ومسرحية « العصفور الأحدب » للأستاذ محمد الماغوط ، ومجموعات من الأقاصيص هي « أحزان عمي الدوكالي » للأستاذ بشير الهاشمي ، و « بقع في الشمس » للأستاذ اسماعيل ولي الدين ، و « أقاصيص أردنية » للأستاذ عيسى الناعوري . وصدر في كتاب واحد مختارات قصصية لثلاثة من الأدباء هي « الأحلام » للأستاذ أحمد هاشم الشريف ، و « الطيور » للأستاذ أحمد يونس ، و « الكرنفال » للأستاذ أحمد الخميسي . وتحت الطبع مجموعة للأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي عنوانها « الظل في الرأس » .

* ظهر للأستاذ كمال الصليبي كتاب عن « تاريخ لبنان الحديث » . ويصدر في القريب كتاب « سوريا ولبنان ١٩١٦ – ١٩٢٢ » للمؤرخ الأستاذ محمد جميل بيهم وطبعة جديدة من « مختصر تاريخ لبنان » للعلامة المؤرخ الدكتور فيليب حتي .

* « أصول دراسة الناي » كتاب طريف للأستاذ محمود عفت يرشد الى استخدام هذه الآلة الموسيقية .

* في القانون والاقتصاد والادارة ظهرت الكتب التالية « علاقات المواطنين بالدوائر الشرعية » للأستاذ عبد الكريم بن حمد بن ابراهيم الحقيل ، و « الموجز في القانون الدولي » للدكتور حسين درويش والأستاذ خالد عبد الحميد فراج ، و « الادارة العامة » للدكتور بكر القباني ، و « بحوث في التسويق » وهو جزءان للدكتور محمود صادق بازرعة ، و « اقتصاديات المالية العامة » للدكتور أحمد الجعويني .

هذا ويصدر قريبا للدكتور عدنان الخطيب كتاب في القانون المقارن يعالج بالدرس موضوع « القضاء الاداري » .

* في العلوم بمختلف فروعها خرجت الدراسات الآتية : « مواد البناء وطرق الانشاء في المباني » للأستاذين توفيق عبد الجواد ومحمد توفيق ، و « صناعة التعدين » للدكتور محب الدين حسن والأستاذ محمود محمد الهراس ، و « البرادة الميكانيكية وتركيب الأسطح » للأستاذ محمد كمال الطيب ، و « تغذية الانسان » للدكاترة مصطفى صفوت أحمد ومحمد حسيب ومحمد البسيوني زويل ، وطبعة جديدة من « زراعة المحاصيل » للدكتور علي علي الخشن .

خيوط النور

تاليف الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله
عرض وتعليق الأستاذ عباس خضر

بدأ محمد عبد الحليم عبد الله يكتب القصة الطويلة موفقا ، واستمر يكتبها موفقا متطورا ، حتى صار لنا من انتاجه فيها روايات عديدة تعد من عيون أدبنا القصصي المعاصر.

ولكنه — حسبما بدا لي — حينما بـدأ كتابة القصة القصيرة كان مشدودا الى الفن الروائي أكثر من التفاته الى خصائص القصة القصيرة .وبعض أقاصيصه الأولى تحول الى رواية ، أي أنـه أعاد كتابتها ، أو اتخذ حادثها مادة لروايـة جديدة .

ولكن تعثر كاتبنا القصصي في كتابة الأقصوصة لم يدم ، ولم يصر الى الاخفاق أو التجمد . اذ لم يلبث أن وقف على سر القصة القصيرة ، واهتدى الى فنيتها المختلفة عن فنية الرواية .

ومجموعته الأخيرة التي سماها « خيوط النور » تمثل تطوره المتصل في فن القصة القصيرة . ليس هذا فحسب ، بل تعد هذه المجموعة بصفة عامة من الانتاج القليل الذي يثبت وجود القصة القصيرة الجيدة في حياتنا الأدبية الراهنة ، ويدفع عنها تهمة الضعف والوقوع في أزمة ، كما تردد أخيرا . وان فيها بضع قصص تعد نماذج للقصة القصيرة الممتازة على المستوى الذي يرجى لهذا الفن في الانتاج المعاصر .

وعلى ذلك يعد محمد عبد الحليم عبد الله الآن من كتابنا القلائل الذين يجيدون كتابة القصة الطويلة والقصة القصيرة ، كلتيهما . وعيبه عند بعض الناس انه يعنى بأسلوبه اللغوي العربي ، وهـــو عيب جميل نتمناه للعائبين مخلصين . فمعروف أن عبد الحليم لا يجنح الى الجزالة أو التكلف اللغوي الذي يعوق مجرى الكتابة القصصية ، أو الذي قد يلجأ اليه البعض لستر الفقر في المضمون .

نبدأ مجموعة « خيوط النور » بقصة عنوانها « الوديعة » ، وتأتي بعدها قصة « خيوط النور » التي سمي الكتاب باسمها . والواقع أن خيوط النور تنتشر في معظم قصص الكتاب ، فالكاتب يبث في صوره القصصية كثيرا من المشاعر والأفكار المضيئة .

وقصته « الوديعة » تقول لنا : ان الأبناء والبنات ليسوا ملكا دائما لأمهاتهم وآبائهم ، فالبنت لرجل في الخارج ، والولد لامرأة في الخارج ..

فالقصة تصور لنا أما ترملت في شبابها وعكفت على تربية ابنها الوحيد الذي ظهر أبوه في حياتها كأنما ليسلمها رسالة ، ثم انصرف . ! ولم تلتفت الى تساؤل الناس : « كيف ستتصرف بشبابها ؟! » بل تحول احساسها الى مجرى جديد . شعرت أنها جناح واحد « لكتكوت » صغير ، هو ابنها . كان مناها أن ترى ابنها في العاشرة من العمر ، مدعية في نفسها أنه عندما يبلغ هذه السن يمكنه الاعتماد على نفسه ، ويمكنها هي أن تفكر فيما يفكر فيه الناس بفضولهم . فلما بلغ ابنها العاشرة رأت فيه أنيسا ، حتى اذا ما بلغ السادسة عشرة رأت فيه شابا تسامره ، وها هو ذا اليوم قد جاوز العشرين ، وهي تخطو الى السابعة والثلاثين . ثم ها هي ذي تحس بغريب يدخل حياتهما المشتركة في صورة فتاة تعلق بها الولد . وهنا الموقف الشعوري النابض في القصة ، يرسمه الكاتب بدقة ، ويصور فيه الأم في صورة مثالية صادقة ، تخضع للأمر الذي لا بد منه ، اذ تشعر أن الوقت قد حان لخروج الوديعة مـــن حوزتها ، فتدبر أمرها على هذا الأساس . ويراها ابنها وزوجته ذات يوم تملأ احدى الحقائب بملابسها الخاصة ، فيتبادلان نظرة ذات معنى .. فهما أنها ستعيد ما فات .. أنها ستتزوج . لكن الأم كانت تقصد الى احدى دور حضانة الأطفال مشرفة مقيمة ، تملأ عينيها الشابتين بالخليقة الجديدة ، وتتمتع بالحرية التي منحتها لغيرها .

ما نرى الأم الأرمل في قصص محمد عبد الحليم عبد الله ، الطويلة منها والقصيرة .. نراها في صور مختلفة ، فهي مرة تستجيب لدواعي الشباب وتتزوج ، كما في رواية « شمس الخريف » التي تنطلق حوادثها من نقطة زواج الأم ، وتدور الصراعات فيها حول هذه العقدة . ومرة أخرى نرى الأم الأرمل تضحي من أجل ولدها بصور مختلفة ، احداها في رواية « من أجل ولدي » ، وقد رأينا في قصة « الوديعة » صورة من هذه الصور .

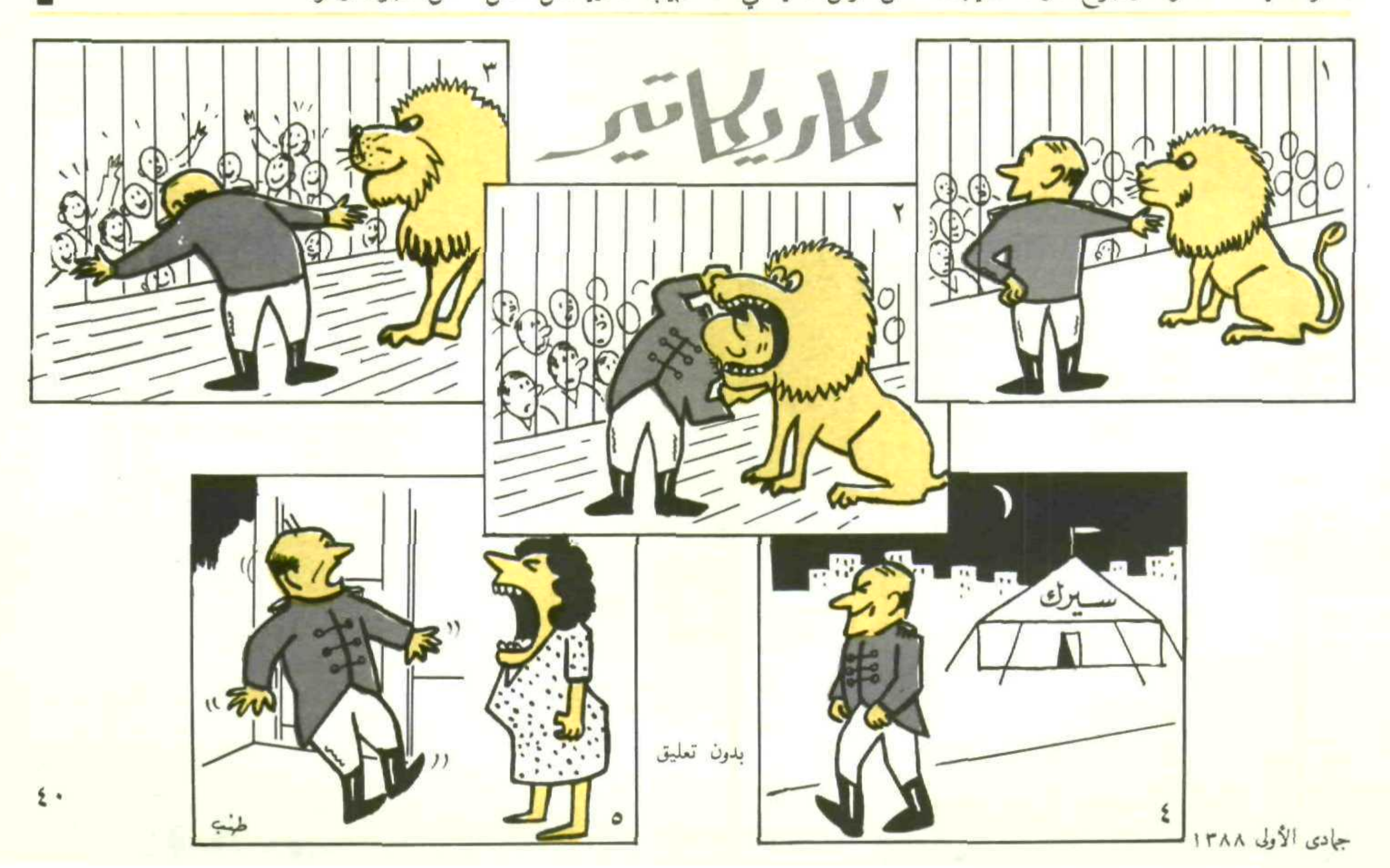
وقد يتبادر الى الذهن أن الكاتب يكرر الصورة ، ولكن الواقع أن الأرمل في كل مرة صورة أخرى تختلف عن غيرها ، ولكل منها حياة خاصة وفكرة خاصة ومعالجة خاصة ، وان كانت تجمعها صفة مشتركة ، وهي أن الأرمل ذات ولد وحيد .. دائما وحيد . !

والأستاذ عبدالحليم يعنى عناية خاصة بالعلاقات الأسرية والزوجية وتحليلها . ومعظم الصور عنده مشرقة غنية بالملامح الانسانية والمشاعر الطيبة ، لا نراه يطرق جوا مظلما حتى يسارع الى تبديد ظلامه بتلك المشاعر والملامح . انه مثلا في قصة « الشارع الخالي » يصور رجلا يجول ليلا في شوارع الاسكندرية أيام الحرب العالمية الثانية ، والمصابيح مطفأة والغارات الجوية تلقي القنابل المدمرة ، فيتملكه الخوف والجزع ، ولكنه لا يلبث أن تخطر له في الظلام صور الذين يحبهم .. صورة زوجته التي لم يمض على زواجه منها سوى سنتين ومنديلها الحريري الشفاف تعصب بـه رأسها ، والفرق الأبيض في شعرها الفاحم .. وابنه « نبيل » وبسمته الحلوة فأحس أن الظلام قد قلت كثافته . وتنتهي هذه القصة بمغامرة انسانية ، اذ يعثر البطل على طفل حديث الولادة ملقى الى جانب من الطريق ، فيأخذه الى بيته ، وتسر زوجته بعمله النبيل . وقد اشتبك البطل — في سبيل انقاذ الطفل — مع كلب ضار كان يدفعه عنه .. اشتبك مع الكلب في معركة دامية ، انتصر فيها على الكلب بأن خلع معطفه وألقاه على وجهه وكبله به ، ثم قضى عليه . ونلحظ في هذه الرواية أن الكاتب أفرط في وصف المعركة بما يشبه ختام الأفلام ، التي تعمل على ارضاء المشاهدين بالمغامرات العنيفة المثيرة . ولا نرى سياق القصة يحتاج الى هذا الموقف الذي اشتمل على نقيضين أحدهما العطف على الطفل ، والآخر القسوة على الكلب .

الاهتمامات الاجتماعية بنصيب لا بأس به من قصص المجموعة ، منها قصة « خيوط النور » التي يدور الصراع فيها بين عهد مضى وعهد أقبل ، يتمثل الأول في « الخواجة فوقي » الذي عاش في القرية فترة من الزمن ، يدعي أنه طبيب ، ويستغل أهل القرية . ويتمثل الثاني في فتى من أهلها يروعه ما يفعله « فوقي » من ادعاء باطل ، يتعلم الطب ويصبح طبيبا يكرس جهوده في خدمة القرية ، يقضي على خرافة « فوقي » الى الأبد .

وفي المجموعة بعض القصص الضعيفة مثل قصة « المسافر » و « الوجه الطيب » . وفي كل من هاتين القصتين يقارن الكاتب بين أخوين ، أحدهما سيء والآخر طيب ، ولا تكاد تخرج من هذه المقارنة بشيء . ففي القصة الثانية مثلا يصف تشابها بين أحد الأخوين وبين أمه ، فالولد صاحب وجه طيب هادىء بشرته بيضاء صفراء ، وهي صفات موجودة في الأم . ثم يتبين أن مظهر الولد خادع ، وأنه يسرق النقود ليذهب الى المسرح ، على خلاف أخيه الصاحب الذي يثير الزوابع في البيت ويغضب الجميع وتوجه اليه التهم ، ثم يظهر أنه بريء . وموضع الضعف في القصة أن الصفات الخادعة مشتركة بين الولد والأم ، ولكن القصة تدين الولد وتبرىء الأم . والقصة تحذرنا من أن نغتر بالظاهر ، والظاهر هنا ينطبق على الأم كما ينطبق على الأبن ، على حين نرى الأم في صورة مشرقة ، أو على الأقل لا غبار عليها .

وبعد ، فاذا غضضنا النظر عن هذه الهنات القليلة ، نجد قصص الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله في هذه المجموعة ، على مستوى عال من الجودة والقوة ■



تتوسط مدينة الرياض ، عاصمة المملكة العربية السعودية ، رقعة الأرض الواسعة التي تحتلها هذه المملكة الفتية . فهي تقع على خط عرض ٢٨ و ٢٤° في وادي حنيفة بنجد ، وعلى ارتفاع مقداره ٥٩٢ مترا عن سطح البحر . مناخها قاري ، شديد البرودة شتاء ، وشديد الحرارة صيفا ، وجوها جاف ، وأمطارها موسمية متباينة تغزر سنة وتمحل أخرى . الا أن مياهها متوفرة ، وهي تسد حاجة المدينة لسنين طويلة .

وتشهد المملكة بصورة عامة ، ومدينة الرياض بصورة خاصة هذه الأيام تطورا عمرانيا سريعا تتسع معه وتتغير ملامحها سنة تلو السنة ، مكتسبة بذلك طابع المدينة الحديثة ، بشكل يتلاءم ومركزها كعاصمة البلاد ، وزهرة مدائن الجزيرة العربية .



تحيط بمدينة الرياض الحدائق والبساتين التي تعتبر متنفسا لها ، والتي تضفي عليها جمالا وبهاء .


مبنى رئاسة مجلس الوزراء يطل على ساحة فيها الكثير من الاشجار الباسقة

الرياض قديما

والرياض مدينة عريقة قامت على أنقاض مدينة حجر (١) ، أقدم قاعدة لاقليم اليمامة الذي يشمل في العهد الحاضر ما يعرف بالعارض ، وسدير ، والمحمل ، والشعيب ، والوشم ، والخرج ، والفرع .

وتعود تسمية حجر الى أن « عبيدة بن ثعلبة الحنفي » لما أتى اليمامة ، ووجد قصورها وحدائقها خالية من سكانها من قبيلة « طسم » بعد فنائها ، احتجر منها ثلاثين قصرا ، وثلاثين حديقة فسميت حجيرته تلك حجرا .

كانت قبيلة « طسم » على قدر من التحضر ، ففجرت فيها العيون ، وبنت الحصون والقصور . وقد بقيت آثار تلك القصور معروفة الى صدر الاسلام ، وهناك نذر قليل من آثارها باق حتى اليوم . ويروى أن أبا مالك أحمد بن سهل اليشكري النجدي المعروف «بالهمذاني» شاهد بقاياها في أوائل القرن الرابع الهجري .

ولما ظهر الاسلام ، وكان يسكن حجرا بنو حنيفة ، كتب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الى زعيمهم يقول : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى هوذة بن علي : سلام على من اتبع الهدى ، واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر ، فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يدك . » ولكن هوذة كتب الى الرسول عليه الصلاة والسلام جوابا يقول فيه : ما أحسن ما تدعو اليه وأجمله ، وأنا شاعر قومي وخطيبهم ، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك . فلما تسلّم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، جوابه قال : « لو تسألني سيابه من الأرض ما فعلت ، باد وباد ما في يديه . » فلم يلبث هوذة الا قليلا حتى توفي .

وفي العام العاشر للهجرة قدم وفد منهم على رسول الله ، عليه الصلاة والسلام ، فأكرمهم وحباهم . الا أن مسيلمة الكذاب ، وكان في الوفد ، ادعى النبوة حال رجوعه ، ولم يتم القضاء على ردته الا في السنة الثانية عشرة للهجرة على يد خالد بن الوليد .

بقيت « حجر » قاعدة لليمامة في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي قسم من عهد بني أمية ، الى أن ولّي على البلاد « ابراهيم بن عربي الكناني » ، وكان ذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، فاتخذ الوالي « العقير » مقرا له بدلا من « حجر » ، الا أن « حجرا » بقيت تعتبر قاعدة لليمامة عند كل من كتب عن اليمامة من المؤرخين .

وفي سنة ٧٣٢ للهجرة زار المنطقة ، الرحالة « ابن بطوطة » فقال في وصف حجر : « ثم سافرنا الى مدينة اليمامة وتسمى « حجر » وهي مدينة حسنة خصبة ، ذات أنهار وأشجار ، يسكنها طوائف من العرب أكثرهم من بني حنيفة » . ولعل ما كان يقصده ابن بطوطة بالانهار ، الوديان التي تسيل بغزارة في موسم الأمطار ، وفي الرياض العديد منها الآن .

وفي القرن الحادي عشر للهجرة بدأ اسم حجر يدل على جزء صغير من موضع المدينة القديم ، وأخذ اسم الرياض يبرز ليدل على المدينة بكاملها ، الى أن أصبح اسم حجر يدل على بئر كانت تقع على الضفة الغربية من وادي « الوتر » المعروف الآن باسم البطحاء ، وقد طمرت هذه البئر منذ بضع سنوات ، فطمر بذلك اسم « حجر » ولم يعد له مكان الا في كتب التاريخ .

وفي القرن الثاني عشر للهجرة ، مرت المدينة بأحداث عظيمة كان أهمها توالي الحروب عليها قرابة ثمانية وعشرين عاما . فقد تعرضت في تلك الفترة لما يزيد على خمس وثلاثين غزوة شنها الامامان محمد بن سعود وابنه عبد العزيز على أميرها دهام بن دواس لمعارضته للدعوة الاصلاحية الدينية ابان مناصرة الدولة السعودية لها ، فكان لذلك أثره على المدينة اذ أرهقها وأضعف من شأنها ، الى أن استطاع الامام تركي بن عبد الله أن يفرض عليها حصارا أسفر عن تعيين ابن عمه مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود أميرا لها ، ينظم شؤونها ، ويضبط أمورها ، ثم انتقل تركي ابن عبد الله اليها عام ١٢٤٠ للهجرة ، واتخذها قاعدة للملك . ومنذ ذلك العهد حتى مطلع القرن الرابع عشر للهجرة ، أصبحت مدينة الرياض قاعدة للدولة السعودية في دورها الثاني الذي دام قرابة ستين عاما ، الى أن غزا المدينة محمد بن عبد الله آل رشيد عام ١٣٠٩ للهجرة أي بعد

(١) أصدرت أمانة العاصمة كتيبا عن الرياض تضمن بحثا تاريخيا مطولا عنها كتبه العلامة الأستاذ حمد الجاسر .

ثمانية أعوام من استيلائه على نجد ، فاحتلها ، وهدم أسوارها وقصورها ، وأتبعها لأمارة حائل ، فظلت على تلك الحال قرابة عشر سنوات متتالية حتى استولى عليها الامام عبد العزيز بن عبدالرحمن في الخامس من شوال عام ١٣١٩ للهجرة ، فدخلت المدينة بذلك طورا جديدا من أطوار نشوئها وازدهارها ، وأخذت بالاتساع ، اوزداد عدد سكانها ، فأعيد تخطيطها ، وغدت تشمل رقعة من الأرض واسعة ظلت تزداد اتساعا يوما بعد يوم .

الحركة العمرانية

كانت مدينة الرياض محاطة بسور مبني من الطين واللبن أقامـــه جلالـة المغفور لـه الملك عبد العزيز ، بعد استيلائه عليها ، وقد استغرقت مدة بنائه ٤٠ يوما وكان له أربعة أبواب هي : باب الثميري ، وباب آل سويلم ، وباب المذبح ، وباب الشميسي ، وكانت أبنية المدينة آنذاك ، تشاد من الطين واللبن ، ونادرا ما تستعمل الحجارة في البناء . وكانت طريقة البناء لا تسير وفق نظام معين أو طريقة مرسومة ، ولذلك كثرت في المدينة الشوارع الضيقة والأزقة المتعرجة ، كما كان طابع البساطة غالبا في جميع مظاهر العمران . وكانت الأبواب تتخذ من خشب الأثل أو من جذوع النخل من صناعة محلية ، بينما كانت بعض أبواب الحصون والقصور تلبس بصفائح من الحديد . أما غرف الجلوس فكانت تطلى من الداخل بالجص المنقوش على شكل دوائر أو مربعات أو مثلثات ، بينما يطلى السقف بالأصباغ السوداء أو الحمراء اللماعـــة ، أو بمزيج منها .

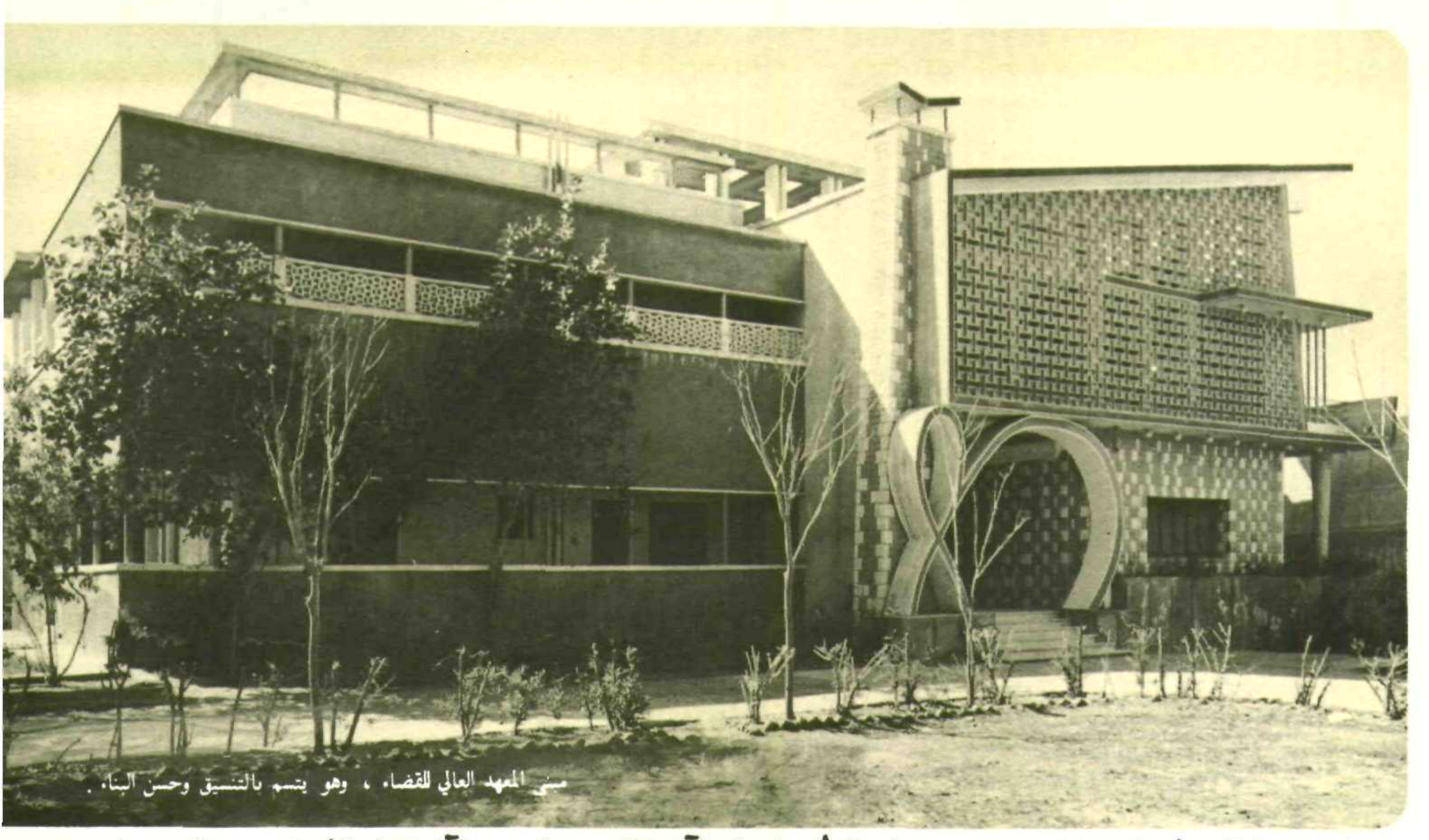
وتبعا لتطور وسائل الحضارة ، أخذت المدينة تتوسع وتتنظم ، فقد بني فيها منذ منتصف هذا القرن ، « قصر المربّع » المحاط بأبراج مربعة الشكل ، واتخذه جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود مقرا لسكناه في حين بقي القصر القديم الذي شيد في عهده مخصصا لاستقبال كبار الضيوف . وفي عام ١٣٥٢ للهجرة قامت في الرياض ادارة للبلدية تعنى بنظافة المدينة وتنظيمها ، وعلى الرغم من أن الرياض كانت في اتساع مستمر فان طراز البناء ووضع الشوارع بقيا على حالهما الى أن أزيل السور عام ١٣٧٠ للهجرة ، فأخذت المدينة تتمطى خارج السور وتمتد ، وبرزت فيها عمارات كثيرة عصرية ، وبنايات جميلة ،



شارع واحد وطرازان مختلفان من البناء ، قديم يوحي بالعراقة ، وحديث يعكس مظهرا من مظاهر التطور العمراني في الرياض .



الواجهة الأمامية لمبنى أمانة العاصمة تظللها الأشجار الوارفة وتزينها أحواض الزهور .



مبنى المعهد العالي للقضاء ، وهو يتسم بالتنسيق وحسن البناء .

و « فيلات » متناسقة . وفي عام ١٣٧٣ هجرية أنشئت أمانة مدينة الرياض ، فرعت الحركة العمرانية في المدينة وشجعتها بحيث شملت جميع المرافق العامة ، وخططت مدينة الرياض تخطيطا عصريا ، فشقت الشوارع الواسعة ، وأقامت الميادين الفسيحة ، وأنشأت الحدائق والمتنزهات ، وقامت بتشجير الأرصفة والميادين العامة ، وأوصلت الماء العذب الى داخل بيوت المدينة ، وعم فيها استعمال الكهرباء . ومنذ انتقال وزارات الدولة ودوائرها الرسمية اليها ، دخلت المدينة طورا جديدا من أطوار العمران ، فانتشرت فيها الفنادق ، والعمارات الضخمة ، والمساجد ، والمعاهد ، والمعارض ، حتى أصبحت تضاهي كبريات المدن في كثير من مظاهر التقدم والعمران .

ماء غزير وخير وفير

كانت العاصمة الى ما قبل خمسة عشر عاما تقريبا تعتمد في سقياها على المياه المختزنة في الطبقة العليا الواقعة على عمق يتراوح بين ٥٠ مترا و ٨٥ مترا . وكان استنباط هذه المياه يقوم على طريقة بدائية ، وهي طريقة حفر الآبار ثم متح الماء منها بالدلاء . وكانت الآبار آنذاك تكفي حاجة سكان المدينة ومزارعها ، اذ كان الاستهلاك محدودا . الا أن مياه هذه الآبار كانت عرضة للتلوث من جراء امتزاجها بالسيول والمجاري المتجمعة في بعض المناطق في قلب المدينة . ومع نمو العاصمة وازدياد عدد سكانها ، عملت الجهات الرسمية على البحث عن مصادر أخرى للمياه ، مما أدى الى اكتشاف بحيرة من الماء على عمق ١٢٥٠ مترا تحت سطح الأرض ، يبلغ طولها ٨٠٠ كيلومتر وعرضها ١٦٠ كيلومترا وعمق الماء فيها حوالي ٤٠٠ متر .

وكان اكتشاف هذه البحيرة فتحا جديدا بالنسبة للمدينة ، ومنذ ذلك الوقت ومعظم استهلاك الماء فيها يعتمد على هذه البحيرة ، الى جانب ما هنالك من مصادر أخرى ، كمياه « وادي نمار » التي كانت مستغلة الى حد ما قبيل اكتشاف البحيرة ، ومياه وادي « حنيفة » ووادي « الحائر » (منطقة تقع في وادي حنيفة على بعد ٧٥ كيلومترا جنوبي الرياض) ووادي « لحاء » ووادي « البعيجاء » .

وقبيل حوالي ست سنوات تم اكتشاف حقل آخر من الماء في وادي « نساح » وهو حقل كبير ، ماؤه غزير ، وقد بدىء مؤخرا باستغلاله . ونتيجة لاكتشاف هذه المصادر المائية ، عطلت آبار المياه السطحية في قلب المدينة ، وحفرت عشر آبار ارتوازية في البحيرة ، وخمس آبار أخرى في حقل « نساح » ، بالاضافة الى العديد من الآبار السطحية في وادي « حنيفة » ، ووادي « نمار » . كما انشئت ثلاثة خزانات سعة كل منها ٣ ملايين جالون ، يتوزع الماء منها الى أحياء المدينة ، بواسطة شبكة من خطوط الأنابيب ذات الأقطار المختلفة . ويستهلك الماء في الرياض مقابل أسعار رمزية .

ويشرف على امداد العاصمة بالماء اللازم لها « مصلحة المياه بالرياض » التي يترأسها سعادة الشيخ عبد الله بن خميس ، وتضم حوالي ٢٠٠ موظف . وذكر الشيخ عبد الله أن العاصمة تتمتع بوضع ممتاز من حيث ثروتها المائية واحتياطي الماء فيها ، بدليل أن الخبراء ذكروا أن البحيرة المائية التي أسلفنا ذكرها تكفي الرياض وحدها لمدة ١٦٠٠ سنة بمعدل استهلاك ٢٠ مليون جالون من الماء يوميا . كما أن هنالك بحيرة أخرى تحت الدراسة والتنقيب تدعى بحيرة « وسيع » ، وتقوم شركة « سواريا » الفرنسية باجراء دراسة شاملة عنها . وتشير الدلائل الى أن هناك بوادر طيبة على أنها أضخم بحيرة مائية مغمورة في جزيرة العرب ، اذ يبلغ حجمها نحو أربعة أضعاف حجم الخليج العربي بكامله ، فاذا ما تمت الدراسات التي تجري بصددها ، وبدىء باستغلالها فانها قد تسد حاجة الجزيرة العربية بكاملها من الماء ، وقد تحيل الصحراء الى جنان وارفة الظلال .

الثروة الزراعية

ان معظم الأراضي الواقعة حول مدينة الرياض صالح للزراعة ، وتقدر مساحة القسم المستغل منها حاليا بنحو ٢٤٠٠٠٠ دونم تقريبا تزرع فيها مختلف أنواع الخضراوات والفاكهة والحبوب . وتغطي أشجار الفاكهة من نخيل وتين ورمان وعنب وحمضيات وتفاح وغيرها نحو ٤٠٠٠٠ دونم من هذه الأراضي ، وبساتين الفاكهة آخذة بالاتساع . سيما بعد أن تم اكتشاف الماء بكميات كبيرة .

وتشرف على الزراعة وما يتعلق بها في مدينة الرياض وضواحيها ، مديرية الشؤون الزراعية التي تحوي أربعة أقسام ، هي : قسم الارشاد الزراعي ويشمل تقديم الخدمات الفنية والعملية ، وقسم وقاية المزروعات ويضم احدى عشرة فرقة لمكافحة الآفات الزراعية ، وقسم البيطرة الذي يقوم برعاية أكثر من نصف مليون رأس من مختلف أصناف الدواجن ، وقسم الخدمات الميكانيكية ، ويشمل أعمال التسوية ، والحراثة ، والتذرية ، وحفر الآبار الارتوازية ما يقدر بنحو ألفي ساعة عمل شهريا . والجدير بالذكر أن خدمات الأقسام الثلاثة الأولى تقدم مجانا ، أما الخدمات الميكانيكية فتقدم مقابل رسوم معلومة .

النهضة التعليمية

كان التعليم في الرياض مقتصرا على الكتاتيب . بالاضافة الى حلقات المساجد التي يتلقى فيها طلبة العلم المواد الدينية ، وبعض مواد اللغة العربية على المشايخ والعلماء . ولما استتب الأمر لجلالة المغفور له عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ووحد أجزاء الجزيرة العربية ، اتجه الى الاصلاحات الداخلية ، وفي مقدمتها التعليم . ولا يزال اهتمام الدولة بهذه الناحية الأساسية ينمو ويتضاعف ، بشكل مطرد .

والتعليم في المملكة متوفر للجميع مجانا بمختلف مراحله وأقسامه ، بل أن الحكومة تبذل المساعدات السخية لبعض طلبة المدارس المتوسطة والثانوية ، وعموم طلبة جامعة الرياض ، ومعاهد المعلمين ، والمعاهد الفنية ، ومعاهد النور ، ومدارس تحفيظ القرآن .

ويبلغ عدد المدارس الأكاديمية في مدينة الرياض نحو ٦٥ مدرسة ابتدائية و ١٣ مدرسة متوسطة ، وأربع مدارس ثانوية ، بعض منها للبنين وبعض للبنات . ويتلقى العلم في هذه المدارس أكثر من ٤٠ ألف طالب وطالبة ، ويقوم بتدريسهم نحو ١٦٠٠ مدرس ومدرسة . والى جانب هذه المدارس يوجد في العاصمة معهدان للتربية الرياضية والفنية ، ومعهد النور لتعليم المكفوفين ، ومعهد الأمل لتعليم الصم والبكم ، ومعهد لاعداد المعلمين ، وآخر لاعداد المعلمات ، ومعهد مهني ، ومعهدان لموظفي الجوازات والجمارك ، والمعهد الصحي ، ومعهد للادارة العامة ، وكلية حربية ، وكلية للأمن الداخلي ، ومدرستان صناعيتان ، ومعهد للدراسات التكميلية ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ، ومعاهد وجامعات دينية ، ومعهد عالي للقضاء .. بالاضافة الى جامعة الرياض .

وتضم هذه المدارس والمعاهد وسائل الايضاح المختلفة والمكتبات والمختبرات ، والملاعب الرياضية ، وصالات العرض والمحاضرات والتمثيل وما الى ذلك . ويزاول الطلاب في هذه المدارس مختلف أوجه النشاط الرياضي ، والكشفي ، والثقافي ، والفني ، والاجتماعي .

ومع افتتاح جامعة الرياض(٢) عام ١٣٧٧ هجرية أتيح المجال لعدد كبير من الطلبة السعوديين أن يتلقوا التعليم العالي في بلادهم دون أن يتجشموا مشقة السفر والاقامة خارجها . والجامعة تضم كليات الشريعة ، واللغة العربية ، والآداب ، والعلوم ، والتجارة ، والصيدلة ، والزراعة ، والهندسة . وهي بسبيل انشاء كلية للطب . وقد بلغ عدد طلابها في العام الماضي نحو ٢٠٠٠ طالب ، يتوفر على تدريسهم نحو أكثر من ١٥٠ دكتورا وأستاذا ومعيدا .

ومن أهم دور العلم في الرياض ، المعهد العالي للقضاء وقد تأسس عام ١٣٨٥ ه برعاية سماحة المفتي ورئيس القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، ويديره فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، الذي مارس التدريس في كل من الأزهر ، ودار التوفيق بالطائف ، ومعهد الرياض العلمي ، وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية بالرياض ، قبل تفرغه لادارة هذا المعهد . وتتلخص أهداف هذا المعهد في اعداد القضاة وتأهيلهم لممارسة القضاء الشرعي ، ولذلك يشترط في المتقدمين للالتحاق به أن يكونوا من خريجي كلية الشريعة أو من كليات مماثلة بعد التصديق على شهاداتهم . ويقضي الملتحق بالمعهد مدة ثلاث سنوات فيه يدرس خلالها الفقه الاسلامي ، وأصول الفقه ، والتفسير ، والحديث ، وتاريخ



في مختبر الكيمياء التابع لثانوية اليمامة يتلقى الطلاب دراسة نظرية يتبعها تطبيق عملي .

(٢) ينصح القارىء بالرجوع الى مقال «جامعة الرياض» الذي نشرته القافلة في عدد صفر ١٣٨٨هـ .



تنتشر بيوت الله في أحياء مدينة الرياض حيث يرتفع صوت منادي الفلاح خمس مرات في اليوم .

فني لدى المختبر المركزي التابع لمستشفى « الشميسي » بالرياض ، يأخذ وحدة دم من أحد المتبرعين .

القضاء في الاسلام وطرقه ، وتاريخ التشريع الاسلامي . ويتخرج في نهاية السنة الثالثة أهلا لممارسة القضاء . ويتقاضى الطالب خلال مدة دراسته راتب الدرجة الخامسة ، شأنه في ذلك شأن أي خريج من الجامعة .

أما مدرسو هذا المعهد فليسو متفرغين ، ولكنهم مجموعة من أفاضل العلماء يقومون بالتدريس فيه بمكافآت مالية . والمعهد حديث التكوين ، بيد أنه آخذ في النمو والازدهار . وهو على درجة كبيرة من الأهمية بصفته من أوائل معاهد الدراسات العليا في المملكة . ولذلك يتوقع أن يكون ذا شأن كبير في مستقبل الجهاز القضائي لهذه البلاد .

الخدمات الصحية

عرفت مدينة الرياض أول مستشفى في تاريخها عام ١٣٤٧ للهجرة وذلك في محلة القرى . وكان المستشفى الوحيد بها آنذاك . ولكنها في عهد نهضتها الحالية تضم عددا من المستشفيات الحديثة ، والمستوصفات ، والمراكز ، والمختبرات الصحية ، بالاضافة الى مستشفى أهلي . وعدد كبير من العيادات الخاصة . ومعلوم أن الخدمات الصحية في المملكة تقدم مجانا ، وتشرف عليها في مدينة الرياض مديرية الشؤون الصحية التي تنقسم أعمالها الى قسمين : وقائي وعلاجي ، بينما يرتبط مستشفى الرياض المركزي ، أكبر مرفق صحي في العاصمة ، مباشرة بوزارة الصحة . وقد افتتح مستشفى الرياض المركزي عام ١٣٧٦ وهو يضم ٤٨٤ سريرا بالاضافة الى مركز طبي ضخم يتكون من الأقسام التالية : قسم الاسعاف ، وقسم الجراحة والأمراض الداخلية العامة ، وقسم علاج الأنف والأذن والحنجرة ، وقسم طب العيون ، وقسم جراحة العظام ، وقسم الأشعة ، وقسم الولادة ، وقسم أمراض الأطفال ، بالاضافة الى مجموعة من العيادات الخارجية التي تستقبل عددا يتراوح بين ٣٠٠٠ الى ٣٥٠٠ مراجع يوميا . ويعمل في المستشفى والعيادات التابعة لها نحو ١٤٨ طبيبا ، وعدد كبير من الممرضين والممرضات .

وبالاضافة الى المستشفى المركزي في الرياض هنالك مستشفى الملك عبد العزيز ويضم ٦٤ سريرا ، ومستشفى الناصرية وبه ٤١ سريرا ، ومستشفى عتيقه وبه ٥٧ سريرا ، والمستشفى العسكري ومستشفى أهلي . كما أن هنالك عددا من المستشفات الأخرى يجري تأسيسها حاليا .

وتتبع مديرية الشؤون الصحية لجنة تسمى لجنة « الغش التجاري » يرجع اليها في المخالفات الصحية التي تضبطها البلدية ، فتقوم بتحديد المخالفة وفرض العقوبة المناسبة . وفي موسم الحج ، تجند المديرية عددا من المراكز الطبية لخدمة الحجيج على طول الطريق الممتد من خريص الى ظلم (٧٠٠ كيلومتر) ، بالاضافة الى رتل من

سيارات الاسعاف المتنقلة على طول الطريق ، ومستشفى متنقل .

ولعل من أهم المرافق الصحية في مدينة الرياض ، المختبر المركزي الذي تم انشاؤه وتجهيزه عام ١٣٨٣ للهجرة نتيجة لتعاون وزارة الصحة ومنظمة الصحة العالمية ، بغية تسيير أعمال التحليل والفحص اللازم للمرضى ، ويترأسه طبيب سعودي هو الدكتور سعيد الشوري . وهو من أهم المختبرات في منطقة الشرق الأوسط وأحدثها ، ويضم الأقسام التالية : قسم سحب العينات ، وقسم العناصر المصورة ، وقسم الكيمياء الحيوية ، وقسم فحص البول والبراز ، وقسم الجراثيم العام ، وقسم زراعة الجراثيم ، وقسم التفاعلات المصلية ، وقسم تحضير المنابت ، وقسم الصحة العامة ، وقسم التشريح النسجي الدقيق ، وقسم الطب الشرعي والسموم . وبنك الدم . والمختبر في سبيل انشاء أقسام جديدة كقسم للفيروسات وآخر للحشرات .

ويترأس كل قسم من هذه الأقسام اخصائي مؤهل يعاونه عدة مساعدين . وهو يقوم بما معدله ١٥٠٠٠ فحص شهريا . ويحوي المختبر المركزي مكتبة تضم أكثر من ٥٠٠ مجلد خاصة بالتحليل ، والمراجع المخبرية ، والمجلات الطبية المختلفة . ويقوم الاخصائيون فيه بتدريس عدد من الفنيين السعوديين ، ليعملوا عقب تخرجهم منه في المختبرات الصحية التي تديرها وزارة الصحة في مختلف أرجاء المملكة .

الخدمات الاجتماعية

تشرف وزارة العمل والشؤون الاجتماعية على رعاية الخدمات الاجتماعية في مدينة الرياض ، وتنقسم هذه الخدمات الى أقسام منها :

ه التنمية الاجتماعية : وتشمل القطاع الثقافي والقطاع الصحي والقطاع الاجتماعي ، وتؤدى الخدمات في هذه القطاعات بواسطة مراكز الخدمة الاجتماعية .

ه الجمعيات التعاونية : ومن أهمها الجمعية التعاونية المهنية ، والجمعية الأهلية التعاونية ، والجمعية التعاونية للتموين المنزلي لموظفي الدولة .

ه المؤسسات الاجتماعية وهي تشمل دار الرعاية الاجتماعية للمسنين وذوي العاهات والعجزة والمقعدين ، ودور التربية الاجتماعية لاحتضان صغار الايتام واليتيمات ، ودار التوجيه الاجتماعي للأحداث ، والمؤسسة النموذجية للتربية الاجتماعية لرعاية خريجي دور التربية الاجتماعية ، وصناديق البر ، وهي جمعيات خيرية أهلية تقدم مساعدات مالية وعينية الى الفقراء والمحتاجين ، والمعهد الثانوي المسائي للخدمة الاجتماعية لتخريج الاخصائيين الاجتماعيين ، وجمعية الهلال الأحمر السعودي وهي عضو في منظمة الاسعاف الدولية ، وجمعية النهضة السعودية التي قام بتأسيسها نخبة من سيدات الرياض بغية نشر الوعي الديني ، والثقافي ، والاجتماعي ، والصحي ، في محيط المرأة السعودية عن طريق القاء المحاضرات ، والندوات وافتتاح فصول اللغة العربية والانجليزية والطباعة والصحة العامة . وقد احتضنت هذه الجمعية ثلاثين عائلة يبلغ عدد أفرادها ١٠٠ فرد ، تؤمن لهم المؤونة والكسوة والعلاج مجانا . ومن المشاريع التي تضطلع بها الجمعية اصدار مجلة نسائية اسمها «النهضة» ، والاشراف على نادي فتيات الجزيرة الثقافي ، ومعهد محو الأمية الذي يشمل أيضا تعليم التدبير المنزلي والأشغال اليدوية والخياطة والصحة العامة ، ومركز رعاية الأمومة والطفولة ، ودار حضانة الأيتام الذي يشرف على رعاية الأطفال فيه مربيات اخصائيات وطبيب منتدب من وزارة الصحة .

ه رعاية الشباب : ويقوم بالاشراف على الحركة الرياضية وتسجيل الأندية . وأهم الأندية في مدينة الرياض هي : الهلال ، والأهلي ، والشباب ، والنصر ، والنجمة ، والاتحاد . وتزاول في هذه الأندية ألعاب كرة القدم ، وكرة السلة ، والكرة الطائرة ، وتنس الطاولة ، والسباحة ، وألعاب القوى . ويزيد عدد اللاعبين الذين يشتركون في هذه النوادي على ألفي لاعب . وبالاضافة الى النشاط الرياضي تعقد في هذه الأندية ندوات ثقافية واجتماعية ، وتلقى فيها محاضرات مختلفة .

الأمن أساس الرخاء والاستقرار

تتميز المملكة العربية السعودية باستتباب الأمن والاستقرار ، وتضطلع بأعباء هذه المسؤولية الكبيرة في الرياض جهات ثلاث هي :

ه الشرطة : وهي موزعة على سبع مناطق داخل المدينة ، كما توجد مراكز أخرى في مداخلها .

ه ادارة المرور : وتشرف على ادارة المرور والحركة في المدينة وتنظيمها بالوسائل الحديثة بمعاونة أمانة العاصمة .

ه شرطة النجدة : وشعارها « الشرطة في خدمة الشعب » ، ورقمها الهاتفي « ٩٩ » . وقد انشئت في الرياض عام ١٣٨٤ ، ويتكون جهازها من أقسام : الادارة ، والعمليات ، والخدمات ، والاسعاف ، والانقاذ ، والاطفاء . وكل قسم من هذه الأقسام مجهز بالوسائل الحديثة لخدمة المواطنين في حالات حوادث السير والحرائق والغرق وغير ذلك .

النشاط الاعلامي

المملكة العربية السعودية قطر شاسع المساحة ، ولذلك كان لا بد للمسؤولين فيها من أن ينشئوا محطات اذاعة قوية للبث ، منها دار الاذاعة في الرياض التي انشئت عام ١٣٨٤هـ للهجرة وأضيفت اليها مؤخرا مرسلات اذاعية ذات قوة مقدارها ١٢٠٠ كيلووات للموجة المتوسطة ، فأصبح بذلك صوتها مسموعا بوضوح تام في جميع المناطق المجاورة .

ويبلغ مجموع ساعات البث من اذاعة الرياض ١٧ ساعة ، موزعة على ثلاث فترات هي : فترة الصباح ، وفترة الظهيرة والمساء ، وفترة السهرة . ويبلغ عدد مذيعيها عشرة ، يقدمون ١٩ برنامجا يوميا ، ونحو ثلاثين برنامجا أسبوعيا . وهي تشترك في عدد وكبير من كالات الأنباء العالمية .

وفي ١٩ ربيع ثاني عام ١٣٨٥ هـ افتتح في العاصمة تلفزيون الرياض ، وهو يبث برامج بمعدل ٥ ساعات يوميا ، ما عدا يومي الخميس والجمعة اذ يزداد البث الى ٧ ساعات . ويقدم التلفزيون ١٣ برنامجا محليا منوعا ، يكتب ويخرج ويعد في استوديوهاته . ويعمل في المحطة حوالي ٦٠ موظفا ، منهم ٦ مخرجين و ٨ مذيعين .

وتصدر في الرياض صحيفتان يوميتان ، هما : « الرياض » وتأسست عام ١٣٨٤ للهجرة ، ورئيس تحريرها الأستاذ أحمد الهوشان ، والدعوة وتصدر اسبوعيا مؤقتا عن مؤسسة الدعوة الاسلامية للصحافة والنشر ، ورئيس تحريرها الأستاذ عبد الله بن ادريس ، وانشئت في العام نفسه .

كما تصدر فيها صحيفة اسبوعية هي «الجزيرة» وتأسست عام ١٣٧٩ للهجرة ويرأس تحريرها الأستاذ عبد الرحمن المعمر . أما المجلات التي تصدر فيها هي « اليمامة » ، وهي اسبوعية وقد تأسست عام ١٣٧٢ للهجرة ويدير تحريرها الأستاذ محمد أحمد الشدي . و « العرب » ، وهي شهرية بدأت بالصدور عام ١٣٨٦ للهجرة وصاحبها ورئيس تحريرها هو الأستاذ حمد الجاسر .

وبالاضافة الى ذلك تصدر في الرياض مجلة « كلية الملك عبد العزيز الحربية » ، وهي

يد حنونة ووجه بريء ، وابتسامات رضى وسعادة يتبادلها الطفل اليتيم والقابلة القانونية .

بعض اطفال دار الحضانة يلهون بالألعاب التي توفرها الدار لهم .

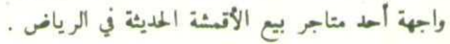


منظر داخلي لأحد ستوديوهات تلفزيون الرياض أثناء تصوير برنامج فكاهي .

تلفزيون الرياض ، من مرافق الاعلام المهمة الرامية الى تثقيف الجمهور وتسليته .



واجهة أحد متاجر بيع الأقمشة الحديثة في الرياض .



سباق الخيل من وسائل التسلية المحببة لدى الجمهور في المملكة ، وهي رياضة عريقة في القدمفي هذا الجزء من البلاد .

شهرية يرأس تحريرها الأستاذ عقيل ضيف الله القويعي وتأسست عام ١٣٨٤ للهجرة . ومجلة « تجارة الرياض » وهي شهرية تصدرها غرفة التجارة والصناعة بالرياض منذ عام ١٣٨١ للهجرة ويرأس تحريرها الأستاذ صالح الطعيمي ، ومجلة « جامعة الرياض » وتصدر سنويا ، وهي بمثابة كتاب جامع لنشاطات الكلية وانجازاتها . و « الادارة العامة » وهي نشرة دورية يصدرها معهد الادارة العامة .

الحركة التجارية والصناعية

تعج الرياض بالحركة التجارية والصناعية بشكل يدعونا الى القول أنها بلد عملي يولي العمل من العناية أعظمها . فأسواقها تعج بمختلف البضائع الواردة اليها من أطراف المعمورة بالاضافة الى المصنوعات المحلية . ومعارضها الكبيرة الحديثة التنسيق تعكس صورة براقة لجانب من جوانب الحياة في المدينة . ومن أشهر شوارعها البطحاء ، وشارع الوزير ، وشارع الثميري التي تزدحم بالناس وتعج بالحركة والنشاط وتتلألأ على واجهات متاجرها أنوار النيون المزخرفة .

وفي الرياض عدد من المصانع التي تسد معظم حاجات المنطقة بمنتجاتها وتفتح المجال أمام الشباب الناهض والخبرات القيمة أن تفيد وتستفيد . ومن هذه المصانع : مصنع اسمنت اليمامة ، ومصنع الجبس ، ومصنع البلاستيك ، ومصنع الأسرة والفرش ، ومصنع الكبريت الذي لم يبدأ انتاجه بعد .

مرافق الترفيه

حديقة الحيوان : وقد أنشئت سنة ١٣٧٦ هجرية وهي تضم حاليا نحو مائتي حيوان جلبت من مختلف أقطار العالم ، كالأسود الأفريقية ، والقرود ، والغزلان ، والمها ، ووحيدة القرن السودانية ، والفيلة الهندية ، والدببة الهولندية ، والنسور ، والطواويس ، والنعام ، والجواميس ، والضباع ، والذئاب . ويتردد على هذه الحديقة الأهلون للتنزه ، كما يفد اليها طلبة المدارس والمعاهد والكليات لدراسة عادات الحيوانات وصفاتها .

٥ ميدان سباق الخيل : والرياض عريقة في مجال الفروسية . ففي عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، ازدهرت هذه الرياضة ، التي كان يشجعها المغفور له ، فجلبت لها أصائل الخيل من مختلف مصادرها ، ويوجد عدد من هذه الخيول مع سلالاتها في حظائر وزارة الزراعة للتكاثر .

ويتسع ميدان السباق في الرياض لحوالي ٤٥٠٠ متفرج ، وهو مزود ببوابة للانطلاق ، وبرج للمحكمين . ويقام فيه السباق اسبوعيا ، وتمنح جوائز مالية للفائزين . ويقبل سكان المدينة على مشاهدته بترقب واهتمام كبيرين . وبالاضافة الى ذلك يجري حاليا اقامة مبنى لناد للفروسية على غرار أحدث مباني ميادين الفروسية .

والرياض تغص بالمقاهي والنوادي الرياضية ، والكازينوهات والمتنزهات العائلية ، والحدائق العامة . كما يحيط بها عدد من المزارع التي تعتبر متنفسا للمدينة . وأمانة العاصمة في سبيل اعداد المزيد من الحدائق العامة والمتنزهات وملاعب الأطفال وغير ذلك ، مما ييسر سبل الترفيه واللهو البريء لأبناء المدينة .

وبعد ، فلا يمكن لنا أن نقول أن هذه صورة كاملة للرياض ، فالحديث عنها يطول . بيد أننا نأمل أن نتناول بعض النواحي الأخرى منها في استطلاعات قادمة ان شاء الله ■



جانب من مزرعة التجارب التابعة لكلية الزراعة في الرياض

تصوير خليل ابو النصر



خطوط الأنابيب من الوسائل الرئيسية التي
ترتكز عليها صناعة الزيت (راجع المقال)